
روايات مصرية للجيب
رجل المستحيل
فريق المستحيل
132
د. نبيل فاروق
www.liilas.com/vb3
رياحين
الناشر
المؤسسة العربية الحديثة
للطبع والنشر والتوزيع

فريق المستحيل

- هل لقى فريق (أدهم صبرى) مصرعه بالفعل .. فى قصر (إيفانوفيتش) ؟!
- كيف يواجه زعيم (المافيا) الروسية الموقف ؟ ومتى يضرب ضربته الكبرى ؟!
- ترى ماذا يمكن أن تسفر عنه الأحداث هذه المرة .. مع وجود (فريق المستحيل) ؟!
- اقرأ التفاصيل المثيرة .. وقاتل بعقلك وكيانك مع الرجل .. (رجل المستحيل) ..



العدد القادم :
نمور الثلوج



د. نبيل فاروق

رجل المستحيل
سلسلة روايات بوليسية للشباب زاخرة بالأحداث المثيرة

132



رجل المستحيل

(أدهم صبرى).. ضابط مخابرات مصرى، يرمز إليه بالرمز (ن-١).. حرف (النون)، يعنى أنه فئة نادرة، أما الرقم (واحد) فيعنى أنه الأول من نوعه؛ هذا لأن (أدهم صبرى) رجل من نوع خاص.. فهو يجيد استخدام جميع أنواع الأسلحة، من المسدس إلى قاذفة القنابل.. وكل فنون القتال، من المصارعة وحتى التايكوندو.. هذا بالإضافة إلى إجادته التامة لست لغات حيّة، وبراعته الفائقة فى استخدام أدوات التنكر و(المكياج)، وقيادة السيارات والطائرات، وحتى الغواصات، إلى جانب مهارات أخرى متعددة.

لقد أجمع الكل على أنه من المستحيل أن يجيد رجل واحد فى سن (أدهم صبرى) كل هذه المهارات.. ولكن (أدهم صبرى) حقق هذا المستحيل، واستحق عن جدارة ذلك اللقب الذى أطلقته عليه إدارة المخابرات العامة لقب (رجل المستحيل).

د. نبيل فاروق

١ـ ملك الجريمة ..

اتسعت عيون رجال المخابرات العامة المصرية فى دهشة، شاركهم إياها كل أفراد طاقم الأمن، وهم يتابعون مدير المخابرات، الذى راح يقطع ساحة المبنى على قدميه، فى خطوات سريعة متوترة، متجهًا نحو قاعة التدريبات الرياضية الجديدة، على نحو يوحى بأهمية وخطورة ما يسعى إليه.. وكرد فعل طبيعى، اندفع نحوه بعض الرجال وأفراد الأمن، وأحدهم يهتف:

ـ سيادة المدير.. هل يمكننا أن..

استوقفه المدير بإشارة صارمة من يده، وهو يقول بكل الحزم:

ـ كلا.

توقف الكل فى أماكنهم، إثر إشارته الصارمة، وواصلت عيونهم متابعته، وهو يلتف إلى القاعة الجديدة، وهم يتساءلون فى حيرة: ترى ماذا هناك؟!

ما الذى يثير انفعاله إلى هذا الحد ؟!

وماذا ينتظر فى قاعة التدريبات الجديدة ؟!

ماذا ؟! ..

أو من ؟! ..

أما المدير نفسه ، فقد اندفع إلى القاعة ، وهو يسأل مسئول الأمن فيها فى توتر :

- أهو هنا ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وأشار بيده ، قائلاً :

- منذ ما يقرب من الساعة .

مطّ المدير شفتيه ، وعبر المدخل الطويل ، إلى قاعة الرياضة الأساسية ، التى توقّف ببابها ، يتطلّع إلى الرجل ، الذى انهمك فى تدريبات عضلية عنيفة ، على أحد أجهزة التدريب الحديثة ..

إلى الرجل ، الذى غرق مع أفكاره وذكرياته ، حتى إن حواسه المتفوقة لم تشعر قط بالقادم الجديد ..

الرجل الذى يحتل تلك المكانة الفريدة ، فى جهاز المخابرات العامة ، والذى يحمل فيها لقبًا فريدًا - لم يحصل عليه سواه ، فى هذا العالم الغامض المثير ..

لقب (رجل المستحيل) ..

وفى نفس الوقت ، الذى كان مدير المخابرات يتطلّع فيه إليه ، كان عقل (أدهم) يسبح بعيدًا ، مستعيدًا ذكريات أيام قليلة مضت ..

ذكريات تلك المهمة الفريدة ، التى أسندها إليه المدير ، بعد إصاباته العنيفة ، فى (كوماتا)[*] و(ألاسكا)[**] ..

مهمة تحطيم منظمة (المافيا) الروسية ..

دون أن يغادر (القاهرة) !!

وكانت مهمة - بالفعل - مستحيلة ..

ككل مهامه السابقة ..

(*) راجع قصة (ساعة الصفر) .. المغامرة رقم (١٢٦)

(**) راجع قصة (محيط الدم) .. المغامرة رقم (١٢٠)

ولأن أوامر الأطباء ، كانت تحتم عدم اشتراكه فى أية عملية عنيفة ، فقد كان من المحتم أن يلجأ إلى أسلوب جديد ..

وبالضبط ، كما وصف مدير المخابرات ، كان عليه أن ينسى بعض الوقت ماضيه كضابط صاعقة ، ويتذكر واقعه كضابط مخابرات ..

أن يمنح عضلاته قسطًا من الراحة والاسترخاء ، ويلقى عقله وخبرته وذكاءه فى قلب المعركة ..

ومن هذا المنطلق ، راح (أدهم صبرى) يبحث عن فريقه الخاص ..

الفريق ، الذى يمكنه أن يخوض به المعركة ..

خارج القواعد ..

وخارج الحدود ..

وبدراسة دقيقة سريعة ، تم اختيار أفراد الفريق ..

(علاء فريد) ، .. نقيب الصاعقة المتفوق ، الذى يذكره بشبابه ومنشئه ..

و (ريهام صادق) .. الملازم أول ، وخبيرة المتفجرات الفذّة ، التى فاقت أقرانها كثيرًا ، فى هذا المضمار ..

ثم (شريف نجيب) المدنى الوحيد بالفريق ، وخبير الكمبيوتر والإلكترونيات ، الذى لا يشقّ له غبار ..

وبعد تدريب مكثّف ، انطلق الفريق لمواجهة (المافيا) الروسية ، أقوى وأشرس تنظيم إجرامى فى العالم الجديد ، وعلى رأسه (إيفان إيفانوفيتش) .. الأب الروحى ، وضابط المخابرات السوفيتية القوى البالغ الذكاء ..

وكانت مهمة اختراق تنظيم كهذا مهمة مستحيلة ..

ولكن الفريق أيضًا كان فريقًا مستحيلاً ..

وتحت إدارة (أدهم) المباشرة ، راح أفراد الفريق يستفزّون رجال (المافيا) الروسية من بعيد ، ويستولون على أموالهم ، المودعة فى حساب سرى ببنك (انجلترا) ، أكثر بنوك العالم مناعة ..

وجنّ جنون (إيفان) ، وأطلق كل ذئابه للبحث عمن فعل به هذا ..

مهما كان الثمن ..

وكان على أفراد الفريق أن يقاتلوا بمنتهى الشراسة ..

والقوة ..

والذكاء ..

كان عليهم أن يقنعوا (المافيا) الروسية ، ومن خلفها (إيفانوفيتش) نفسه ، ومساعدته البارعة (ميرا) ، بأنهم يسعون للفرار ، لا للاختراق ..

وطبقًا لخطة (أدهم) ، سقطوا أخيرًا فى قبضة (إيفانوفيتش) ، باعتبارهم الإخوة (أبوللو) ، اليهود المقيمين فى (الأرجنتين) ..

وعلى طائرة خاصة ، تم نقل أفراد الفريق المخدرين ، إلى قصر (إيفانوفيتش) ، فى أول طريق (موسكو) (لينتجراد) ..

وبهذا أصبحوا بمعزل تام عن قائدهم ..

عن (أدهم صبرى) ..

وكان هذا يعنى أن مرحلة الخطر العظمى قد بدأت ..

وأنه على الفريق أن يواجه الموقف كله ، من الآن فصاعدًا ، اعتمادًا على الخطة المعدّة

مسبقًا ..

فقط ..

و .....

« هل لك أن تخبرنى ، ما الذى تفعله بالضبط ؟! »

انطلق صوت المدير الغاضب المتوتر ، فى القاعة الواسعة ، فتوقّف (أدهم) عن تدريباته فورًا ، والتفت إليه ، قائلاً بابتسامة باهتة :

ـ صباح الخير يا سيادة المدير .. لم أتوقّع قط رؤيتك هنا ، فى هذه الساعة المبكّرة .

لوّح المدير بذراعه ، وهو يتجه إليه ، قائلاً :

ـ لقد أيقظونى فى السادسة ، فور إصرارك على القيام ، بهذه الفعلة الحمقاء .

ارتفع حاجبا (أدهم) فى دهشة ، وهو يهتف :

ـ فعلة حمقاء ؟!

ثم أطلق ضحكة قصيرة ، متابعًا :

ـ إنها بعض التدريبات البسيطة فحسب .

أشار المدير إلى وجهه ، قائلاً :

ـ حقًا ؟! أهذا ما يعنيه العرق الغزير ؟!

التقط (أدهم) منشفته ، وجفّف عرقه الغزير ، وهو يقول :

ـ كنت بحاجة ماسة إلى هذا .

قال المدير فى غضب :

ـ وهل نسيت تحذيرات الأطباء ؟!

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال :

ـ كلاّ .. لم أنس ، ولكننى لم أعد أحتمل .

وضع المدير يده على كتفه ، وهو يقول فى هدوء حنون :

ـ ينبغى أن تفعل يا (ن ـ ١) .. أعلم أنه من العسير عليك أن تقبع هنا ، وفريقك يواجه الموت وحده فى (موسكو) ، ولكن ما الذى يمكن أن تفيدهم به لو سقطت هنا ، من جراء ما تفعل ؟!

مطّ (أدهم) شفتيه ، وتنهّد ، قائلاً :

ـ وماذا يمكن أن أفيدهم به ، وأنا أجلس هنا ؟!

هتف المدير :

ـ عقلك يا رجل .. تاريخك .. خبراتك السابقة كلها .. قدرتك على معالجة المواقف بسرعة وحنكة .

غمغم فى توتر :

ـ ربما !

تطلّع إليه المدير لحظة فى صمت ، قبل أن يسأله :

ـ هل من أخبار جديدة من هناك ؟!

هزّ (أدهم) رأسه ، مجيبًا :

ـ ليس بعد أن تمّ نقلهم إلى قصر (إيفانوفيتش) الرئيسى .

أومأ المدير برأسه متفهماً ، وسأل :

- ما الذى تتوقع أن يفعله (إيفانوفيتش) معهم ؟!

أجابه بلهجة حازمة متوترة :

- أى شىء فى الوجود .

قال المدير فى حذر :

- يقتلهم مثلاً ؟!

صمت (أدهم) بعض الوقت ، قبل أن يجيب :

- ليس إذا ما كان بالذكاء الكافى ، الذى أتوقعه .

قال المدير فى اهتمام :

- وهل من الذكاء أن يبقى عليهم ، بعد أن فعلوا به ما فعلوا ؟!

أشار (أدهم) بسبابته ، مجيباً :

- من الذكاء ألا يفكر دوماً كملك شرس للجريمة المنظمة ، وأن يتعامل كتاجر ورجل أعمال ، مع الأمور التى تستحق هذا .

مط المدير شفتيه ، وأطلق زفرة متوترة من أعماقه ، وهو يقول

- فلنتعشم أن يكون بالذكاء الكافى .

وصمت لحظة ، ثم استدرك بتوتر أكثر :

- وإلا ..

وانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

فكل ما يخشاه ، فى تلك اللحظات ، هو كلمة (وإلا) هذه ..

هذا لأنه لم يكن يعلم شيئاً عن مصير فريقه ، داخل قصر (إيفانوفيتش) ..

لم يكن يعلم بالحوار ، الذى دار بينه وبينهم ، حول فرصة استغلال مهاراتهم ، وعلاقتها بسمعة (المافيا) الروسية ..

الحوار ، الذى انتهى بإشارة منه ، استجاب لها رجاله ، و ..

وأطلقوا النار على الكل ..

بلا رحمة ..(*)

* * *

« لا يمكننى تصديق هذا !! »

هتف (هانز ديتريتش) ،زعيم منظمة النازية الجديدة بالعبارة ، فى عصبية شديدة ، وهو يلوّح بذراعيه فى الهواء ، ويقطع الجناح الفاخر فى فندق (ريتز) فى (باريس) بخطوات واسعة متوترة ، فرفع اليونانى (نيكولاس ديمترى) ، والتركى (شوكت كمال) عيونهما إليه ، والأول يقول فى حيرة :

- ماذا أصابك ؟!

توقّف (هانز) ، وواجهه قائلاً فى حدة :

- هؤلاء المجانين يطلبون منا القيام بأكبر حماقة فى التاريخ .. حماقة مزدوجة ، لا يمكن لمخلوق عاقل استيعابها ، بأى حال من الأحوال .

(*) لمزيد من التفاصيل ، راجع الجزء الأول .. (الحدود) .. المغامرة رقم (١٣١)

استرخى (شوكت) فى مقعده ، وداعب شاربه الكث ، وهو يقول :

- لهذا يدفعون بسخاء .

انعقد حاجبا (هانز) ، وقال فى عصبية :

- هذا لا يكفى .

قهقه (نيكولاس) ضاحكًا ولوّح بيده المحنية المخيفة ، قائلاً :

- ما الذى يكفى إذن ؟! المال هو أعظم ما أنتجته قريحة البشر يا رجل .. احصل على أكبر قدر منه ، وستتفتح لك أبواب الحياة على مصراعيها .

مال (هانز) نحوه ، وهو يقول فى شراسة :

- هذا لو بقيت الحياة يا رجل .

بدت الدهشة على وجه (نيكولاس) ، فى حين مطّ (شوكت) شفتيه ، وقال فى حزم :

- (هانز) .. إننا محترفون يا رجل ، وهى ليست أول عملية عنيفة نقوم بها .

قال (هانز) فى حدة :

- ولكنها أكثر خطورة .

هبّ (شوكت) واقفاً ، وهو يقول :

- وهل يخيفك هذا ؟!

صاح (هانز) فى غضب :

- إياك أن تنطقها ثانية .

ابتسم (شوكت) فى سخرية ، قائلاً:

- ما دمت لا تخشى القيام بالمهمة ، فماذا يثير عصبيتك إلى هذا الحد ؟!

صمت (هانز) بضع لحظات ، وهو يعقد حاجبيه فى شدة ، ثم لم يلبث أن هزّ رأسه فى قوة ، قائلاً :

- لست أشعر بالارتياح .

قال (نيكولاس) فى حذر :

- أظنهم قد وضعوا خطة محكمة للتنفيذ .

قال (هانز) فى خفوت :

- ليست لدى ذرة من الشك فى هذا .

ثم ارتفع صوته واحتدّ ، وهو يضيف :

- ولكننا نجهل كل شىء عنها ، تماماً كما نجهل أين تلك الحدود ، التى سيسلمنا ذلك القرد الروسى الأسلحة عندها .. نحن .. زعماء أكبر منظمات الحرية فى العالم ، أصبحنا مجرّد تابعين ، تنفذ أوامر السادة فحسب .

قهقه (نيكولاس) ضاحكاً ، وهو يهتف :

- منظمات الحرية ؟! هذه أفضل دعابة سمعتها ، فى حياتى كلها يا رجل .

صاح به (هانز) :

- دعابة ؟! أهذا كل ما جذب انتباهك ، فى الأمر كله ؟!

بتر (نيكولاس) ضحكته ، واعتدل يقول فى صرامة :

- كل شىء جذب انتباهى يا رجل ، فربما كنت محبًا للحياة والمرح ، ولكن هذا لا يعنى أننى مجرّد إرهابى

أحمق ، وإلا ما أصبحت زعيمًا لواحدة من أقوى منظمات الـ .. الحرية تلك .. إننى أفهم ما تعنيه ، وأفهم ما يقلقك ، ولكنه فى الواقع لا يقلقنى قط .. بل على العكس تمامًا .. إنه يبعث فى نفسى الكثير من الارتياح .

تراجع (هانز) ، هاتفًا فى دهشة مستنكرة :

ـ الارتياح ؟!

أجابه (شوكت) هذه المرة فى صرامة مماثلة :

ـ نعم يا (هانز) .. الارتياح .. نفس الشعور الذى يراودنى ، عندما أعمل مع تنظيمات دقيقة قوية ، وحذرة .. هذا يعنى أن درجة الخطر تنخفض إلى أدنى حد ممكن .

ظلّ (هانز) صامتًا ، معقود الحاجبين بضع لحظات ، قبل أن يقول فى صرامة :

ـ تصحيح بسيط يا رجل .. نحن لا نعمل معهم ، وإنما لديهم .

هزّ (نيكولاس) كتفيه ، قائلاً :

ـ هذا لا يقلقنى على الإطلاق .

ثم عاد يقهقه ، مستطردًا :

ـ ما دمت سأحصل على كل هذه الملايين .

ابتسم (شوكت) بدوره ، وهو يقول :

ـ هذا ينطبق علىّ أيضًا .

ازداد انعقاد حاجبى (هانز) ، دون أن ينبس ببنت شفة ..

ولكن أعماقه ظلّت على حالها ..

لا تشعر بالارتياح ..

على الإطلاق ..

* * *

جرت أصابع (ميرا بتروفا) ، الروسية الحسناء الباردة ، على أزرار الكمبيوتر لبضع لحظات ، قبل أن تتراجع ، قائلة بلهجتها القاسية :

ـ لقد سجلت الحديث كله .

تألقت عينا (إيفانوفيتش) ببريق وحشي ، وهو يداعب لحيته الكثة ، مغمغمًا :

- عظيم .

ثم رفع أحد حاجبيه ، مستطردًا :

- أما (هانز) هذا ، فسأقتله بأبشع وسيلة ممكنة ، عندما تحين اللحظة المناسبة ، بسبب عبارة (القرد الروسي) تلك .

قالت (ميرا) في برود :

- إنه يستحق هذا .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف :

- كلهم يستحقونه .

ارتسمت ابتسامة ساخرة ، على شفتي (إيفانوفيتش) ، وهو يرمقها بنظرة جانبية ، قائلاً :

- الكل ؟!

التفتت إليه ، مجيبة في حزم بارد :

- كل من يجرؤ على المساس بك ياسيدي (إيفانوفيتش) .

ارتفع أحد حاجبيه لحظة ، ثم عاد ينخفض ، وهو يبتسم ، قائلاً :

- هذا يروق لي يا (ميرا) .. يروق لي كثيرًا .

ثم اعتدل ، متابعًا بلهجة مختلفة تمامًا :

- المهم أن نستفيد بهؤلاء الحمقى في عمليتنا الكبرى ، التي سنتربع بعدها على عرش السيطرة العالمية بلا منازع .

سألته في اهتمام :

- وماذا عن تلك المنظمة الأخرى ؟!

انعقد حاجباه ، وهو يسأل :

- أية منظمة ؟!

أجابته في برود شديد :

- المنظمة المموّلة للعملية .

تراجع في مقعده ، هاتفًا :

- آه .. المموّلون !

وانطلقت منه ضحكة قصيرة ساخرة ، قبل أن يتابع :

- إنهم يقومون بدورهم جيداً .

ثم عاد يميل إلى الأمام ، مضيفاً فى صرامة :

- لصالحنا .

والتفت إليها ، يسألها بنفس الصرامة :

- هل تحريت أمرهم ؟!

أجابته فى سرعة :

- لقد تتبعت تحويلاتهم المالية ، حتى شركة للسمسرة فى (نيويورك) ، وبعدها فقدت أثرها تماماً .

انعقد حاجباه ، وهو يسألها :

- وماذا عن شركة السمسرة تلك ؟!

أجابته ، وأصابعها تضرب أزرار الكمبيوتر مرة أخرى :

- لا غبار عليها .. المبلغ لم يدخل إلى حساباتها قط .. لقد تلاعب بعضهم بأجهزة الكمبيوتر فيها ، لتمرير التحويل فحسب ، بحيث تعجز تماماً عن تتبعه .

وصمتت لحظة ، قبل أن تضيف :

- إنهم بارعون بحق .

زمجر ، قائلاً :

- لابد أن نكون أكثر براعة منهم .

ثم عاد يتراجع فى مقعده ، مكملاً بكل الصرامة :

- تذكّرى دائماً أن البقاء على القمة يحتاج إلى جهد مستمر ، وتطوير دائم .

غمغمت :

- بالتأكيد .

ثم سألته فى اهتمام :

- وماذا عن الإخوة (أبوللو) ؟!

ابتسم ، قائلاً :

- هل راجعت بياناتهم مرة أخرى ؟!

أومأت برأسها ، قائلة :

- كلها سليمة ، وكذلك التحريات المباشرة عنهم ، ولست أظنهم بالبراعة الكافية ، لتزييف كل هذا .

انعقد حاجباه مرة أخرى ، وهو يقول فى صرامة :

- إنهم بارعون للغاية ..

مطّت شفتيها ، قائلة :

- ربما .

ران عليهما الصمت بعض الوقت ، وهو يداعب لحيته بتفكير عميق ، قبل أن يعتدل ، قائلاً فى صرامة :

- كلا .. لقد سعينا نحن إليهم ، ولم يسعوا هم إلينا .

اعتدلت (ميرا) ، قائلة :

- أوامرك .

أشار بيده فى عظمة صارمة ، وهو يقول :

- تاريخ الأخوة (أبوللو) انتهى هنا .. لقد خدعوا

(المافيا) الروسية ، ومن المستحيل أن يظلوا على قيد الحياة .

ثم تألقت عيناه بشدة ، وهو يضيف :

- أريد أن تنتشر هذه المعلومة ، فى كل الأوساط .

أومأت برأسها إيجابًا ، وقالت ، وأصابعها تعاود التحرك ، على أزرار الكمبيوتر :

- كما تأمر يا سيدّ (إيفانوفيتش) .

داعب لحيته مرة أخرى ، فى ظفر واثق ، واتسعت ابتسامته ، وهو يقول :

- ينبغى أن يعلم الكل أنه لا أحد يظلّ على الحياة ، بعد أن يحاول العبث مع (إيفانوفيتش) .. هذا هو المستحيل بعينه .

قالها ، وعيناه تتألقان بشراسة أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

* * *

٢ ـ الموتى الأحياء ..

بدا وجه رجل المخابرات المصرى شاحبًا ممتقعًا ، وهو يدلف إلى مكتب (أدهم صبرى) ، فى مبنى المخابرات العامة ، فى كوبرى القبة ، قائلاً :

ـ أخبار غير سارة ياسيادة العميد .

كاد قلب (أدهم) يسقط بين قدميه ، وهو يهب من مقعده ، هاتفًا :

ـ بشأن ماذا ؟!

ناوله الرجل أسطوانة كمبيوتر مدمجة ، وهو يجيب فى خفوت متوتر :

ـ بشأن الفريق .

اتسعت عينا (أدهم) فى ارتياع ، واختطف الأسطوانة من يد الرجل ، ودسّها فى الجزء الخاص بها ، فى جهاز الكمبيوتر ، والرجل يتابع :

ـ (المافيا) الروسية نشرت هذا الفيلم القصير ، عبر مواقعها الستة ، على شبكة الإنترنت ، لتعلن للكل أنها لا تتسامح قط مع من يخدعها ، أو يحاول العبث معها .

ضغط (أدهم) زر تشغيل الأسطوانة ، وتراجع فى مقعده ، ليطالع الفيلم القصير ، بكل الاهتمام والتوتر ..

كان فيلمًا مدته عشر ثوان فحسب ، يبدو فيه أفراد الفريق الثلاثة .. (شريف) و(علاء) ، و(ريهام) ، وهم مقيدون إلى مقاعدهم ، ومدافع آلية مصوّبة إلى صدورهم ..

ثم تصرخ (ريهام) :

ـ انتظر ..

وتنطلق الرصاصات من المدافع الآلية ..

وتتفجّر الدماء فى أجسادهم ..

ثم ينتهى كل شىء ..

وتجمّد (أدهم) فى مقعده ..

مستحيل !

مستحيل أن يكون هذا ما حدث !!

لقد درس شخصية (إيفان إيفانوفيتش) جيدًا ، ومن المستحيل أن يكون قد ارتكب هذا الخطأ البشع ..

مستحيل !

« أظن أن هذا يعنى فشل المهمة كلها .. »

نطق رجل المخابرات العبارة فى يأس مرير ، فانعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، ومال إلى الأمام ، وأعاد تشغيل الفيلم مرة أخرى ..

القيود ..

صرخة (ريهام) ..

وإطلاق النيران ..

ثم الدماء ، التى تفجّرت من مواضع شتى فى أجساد الثلاثة ..

وانعقد حاجبا (أدهم) أكثر وأكثر ، وراح يعيد عرض الفيلم القصير مرة ثالثة ..

ورابعة ..

وخامسة ..

وقبل أن يبدأ العرض السادس ، رفع عينيه إلى رجل المخابرات ، قائلاً فى حزم آمر :

ـ أريد تجهيز قاعة العرض ، مع جهاز البث المباشر على الجدار .. أريد رؤية هذا الفيلم بأقصى درجة تكبير ممكنة ..

سأله الرجل فى لهفة :

ـ هل تشك فى أمر ما ؟!

التقى حاجبا (أدهم) بشدة ، وهو يميل نحو شاشة الكمبيوتر ، قائلاً :

ـ بالتأكيد .

ولم تمض دقائق عشر ، حتى كانت قاعة العرض مجهّزة لتكبير الفيلم القصير ، عبر جهاز (بروجكتور) خاص بالكمبيوتر ، واندفع إليها (أدهم) ، ليلحق بمدير المخابرات داخلها ، والذى استقبله ، قائلاً فى توتر بالغ :

- أصحيح ماسمعته عن الفريق ؟!

أجاب (أدهم) فى حزم :

- هذا ما يعلنه (إيفانوفيتش) ، عبر شبكاته .

هزّ المدير رأسه ، قائلاً :

- يا له من زمن ! حتى المنظمات الإجرامية ، صارت لها قنوات بث مباشرة .

تمتم (أدهم) وهو يشير للمسئول ببدء العرض :

- من يدرى ما سيأتى به المستقبل ؟!

بدأ العرض على شاشة ضخمة ، طوال عشر ثوان تقريبًا ..

وانعقد حاجبا المدير فى شدة ، وهو يتابع المشهد القصير ، حتى لحظة إطلاق النيران ، وتفجُّر الدم فى الأجساد ، وتمتم :

- يا إلهى ! يا إلهى !

أما (أدهم) ، فقد بدا شديد الانتباه ، وهو يشير إلى الرجل ، لإعادة العرض مرة ثانية ..

وفى هذه المرة ، نهض يقترب من الشاشة ، ويتابع المشهد عن قرب شديد ..

كان يرفض تمامًا تصديق أن (إيفانوفيتش) ، بكل عقله ورصانته وخبراته ، سيتجاوز الحدود ، ويطلق النار على الفريق ..

لا يمكن أبدًا لرجل مثله أن يقدم على عمل متهوّر متعجّل ، بدافع الغضب والرغبة فى الانتقام ، كأى مراهق عصبى ..

مستحيل !

مستحيل تمامًا ..

ثم إنه يشعر بأمر ما غير طبيعى ، فى هذا الفيلم القصير ..

أمر لا يتعلّق بتزييف المشهد ، أو إعادة ترتيبه ، على نحو أو آخر ..

بل يتعلّق بشىء آخر ..

شىء يتجاوز حدود الرؤية الحقيقية المباشرة ..

شيء يكمن في غريزة رجل المخابرات المحنك ..

في خبرته ..

وذكائه ..

وبديهته ..

شيء قد لا تراه العين المجرّدة ..

ولكنها تشعر به ..

وتثق به ..

إلى أقصى حد ..

« قف .. »

انطلق الأمر من بين شفتيه كالرصاصة ، فوثبت سبّابة مسئول العرض ، توقف المشهد فورًا ، فأشار إليه (أدهم) ، قائلاً :

ـ إلى الخلف قليلاً .

اعتدل مدير المخابرات في مقعده ، يتابع الموقف في اهتمام بالغ ، في حين أعاد مسئول العرض بضعة

مشاهد إلى الخلف ، ومال (أدهم) نحو الشاشة ، يفحصها جيدًا ، قبل أن يقول :

ـ هل يمكن تكبير هذا الجزء أكثر ؟!

أجابه مسئول العرض :

ـ بالتأكيد .

وارتسم مربع محدود ، حول البقعة التي أشار إليها (أدهم) ، ثم لم يلبث الجزء المشار إليه أن تضخم ليحتل الشاشة كلها ، والمدير يسأل في اهتمام قلق :

ـ ما الذي تسعى إليه بالضبط ؟!

أجابه (أدهم) ، وهو ينظر إلى المشهد المكبّر ، في اهتمام شديد :

ـ أريد صورة أكثر قربًا ووضوحًا ، لمشهد الرصاصات ، وهي تخترق جسد (علاء) .

تراجع المدير في دهشة ، قائلاً :

ـ ولماذا ؟!

هزّ (أدهم) رأسه ، وهو يجيب في شيء من الشرود :



وارتسم مربع محدود ، حول البقعة التي أشار إليها (أدهم) ، ثم لم يلبث الجزء المشار إليه أن تضخم ، ليحتل الشاشة كلها . .

ـ هذا سيحسم كل شيء .

عاد حاجبا المدير يلتقيان في شدة ، وارتفعت يده تداعب ذقنه في توتر ، في حين راح (أدهم) يفحص المشهد بمنتهى الدقة ، قبل أن يقول :

ـ والآن حرك المشهد إلى الأمام ، واحداً بعد الآخر ، واعطني ثانيتين ، بين كل مشهد وما يليه .

بدا الاهتمام واضحاً في صوت مسئول العرض ، وهو يقول :

ـ كما تأمر يا سيادة العميد .

مال المدير أيضاً إلى الأمام ، وراح يتابع المشاهد في اهتمام شديد ، حتى هتف (أدهم) فجأة :

ـ توقف هنا .

أوقف مسئول العرض المشهد ، فمال (أدهم) نحو الشاشة أكثر وأكثر ، وكأنما يفحص كل سنتيمتر منها ، قبل أن يتراجع فجأة ، وتنطلق من أعمق أعماق صدره زفرة حارة ، هتف بعدها بارتياح غامر :

- حمدًا لله .

هبَّ المدير واقفًا ، فى دهشة بالغة ، واتسعت عيون كل الحاضرين عن آخرها ، فى حين استدار إليهم (أدهم) بابتسامة واثقة ، وهو يعقد ساعديه أمام صدره ، قائلاً :

- اطمئنوا أيها السادة .. فريقنا ما زال بخير .

وبدت عبارته عجيبة للغاية ، وتحتاج حتمًا إلى دليل .. دليل قوى ..

* * *

« لست أفهم هذا أبدًا .. »

هتف النقيب (علاء) بالعبارة فى توتر ، وبلغة إسبانية سليمة ، وهو يلوّح بذراعه كلها ، داخل الزنزانة الصغيرة شبه المظلمة ، فى قبو قصر (إيفانوفيتش) ، قبل أن يلتفت إلى (ريهام) و(شريف) ، متابعًا :

- لقد كنا فى قبضته بالفعل ، وتحت سيطرته الكاملة ، بعد أن خدعناه ، واستولينا على عشرة ملايين دولار

من نقوده ، وسمعناه جميعًا يصدر أمره بقتلنا .. بل ورأينا وسمعنا دوى الرصاصات ، وشعرنا بها ترتطم بأجسادنا ، ولكن ها نحن أولاء أحياء نرزق .

تلفّتت (ريهام) حولها ، مغمغمة :

- وسجناء أيضًا .

نطقتها بالإسبانية ، فازدرد (شريف) لعابه فى صعوبة ، وتمتم باللغة نفسها :

- أمر غير مفهوم بالفعل ، فطبيعة الأمور ، فى هذا العالم ، لاتحتمل العبث أو اللهو .

تحسّست (ريهام) أثر الدماء الزائفة على صدرها ، وهى تتلفّت حولها مرة أخرى ، قائلة فى توتر :

- ربما كان يحتاج إلى شهود .

هتف (علاء) فى دهشة :

- شهود لماذا ؟!

هزّت رأسها ، قائلة :

- لست أدرى ، ولكن استخدام رصاصات زائفة ، يتفجّر منها الدم على صدورنا ، أمام آلة تصوير فيديو رقمية .. ألا يعنى كل هذا أنه يرغب فى إثبات شىء ما .

قال (شريف) فى حيرة :

- لماذا ؟! ولمن ؟!

أجابه (علاء) هذه المرة فى حزم :

- للكل يا رجل .. وليثبت أن (المافيا) لا تتسامح قط ، مع من يعبث ببنس واحد من أموالها .

قال (شريف) فى دهشة :

- ولكنه أبقى علينا بالفعل .

أشارت (ريهام) بسبابتها ، قائلة :

- لديه هدف لهذا بالتأكيد .

هزّ (علاء) رأسه ، مغمغمًا :

- ولكن يبدو أننا لن نفهمه قط ..

لم تكد أجهزة المراقبة المتطوّرة ، المخفاة بمهارة فى الزنزانة ، تنقل ذلك الحديث إلى (إيفانوفيتش) ، حتى ابتسم فى ظفر ، قائلاً :

- هذا صحيح أيها المبتدئون .. ليس من السهل أبدًا أن تفهموا ما يرمى إليه (إيفانوفيتش) .

التفتت إليه (ميرا) ، قائلة :

- أنا نفسى لم أفهم ما تنتويه بشأنهم يا سيّد (إيفانوفيتش) .

اتسعت ابتسامته ، وهو يغمغم :

- بالتأكيد .

ثم مال إلى الأمام ، متابعًا بلهجته القاسية :

- القرار لم يكن سهلاً أبدًا ، فمع فريق فى براعتهم ، لا يسهل أبدًا اتخاذ قرار الإعدام ، خاصة وأن ما لديهم يضاعف من كفاءتنا وقدراتنا كثيرًا ، وهذا أمر مطلوب دومًا فى عالمنا ، فكما أقول دومًا .. البقاء على القمة يستلزم التطوّر باستمرار .

غمغمت فى شىء من الغيرة :

- إنهم ليسوا بالبراعة الكافية ، وإلا لما كشفنا أمرهم ، وتوصلنا إليهم .

أدرك ما تعانيه ، فضحك ، قائلاً :

- لو أضفنا مهارتهم إلى مهارتنا ، وبراعتهم إلى براعتنا ، سيكون لدينا أقوى فريق كمبيوتر ، وسط كل المنظمات العالمية الأخرى .

رددت فى خفوت :

- ربما .

ضحك مرة أخرى ، ثم تابع :

- فى الوقت ذاته كان من المستحيل أن نتركهم أحياء ، بعد أن فعلوا ما فعلوه ، وبعد أن تحرينا عنهم ، على نحو سيبلغ مسامع المنظمات الأخرى حتمًا .

وتراجع فى مقعده ، ولهجته تكتسب رنة صارمة ، قائلاً :

- لذا فقد كانت هذه التمثيلية حتمية .. الكل سيتصور أن (المافيا) الروسية قد ثأرت من مخادعيها ، بعد أن ظفرت بهم فى براعة ، ومن الناحية الرسمية ، سيعتبر الإخوة (أبوللو) أمواتًا ، أما فى عالم الواقع ، فسيتم استبدال هوياتهم ، ومنحهم حياة جديدة .

ولوّح بيده ، مضيفًا :

- فى خدمة (المافيا) الروسية .

اعتدلت (ميرا) ، قائلة :

- وماذا لو رفضوا ؟!

ارتفع حاجباه فى دهشة ، لم تلبث أن انقلبت إلى السخرية ، وهو يقول :

- رفضوا ماذا ؟! العمل لحسابنا ؟! أتظنينهم حمقى إلى هذا الحد ؟!

قالت فى إصرار :

- أنت علمتنا أن نضع كل الاحتمالات فى الحسبان .

وافقها بإيماءة من رأسه ، قائلاً فى حزم :

ـ بالتأكيد .

ثم هز كتفيه ، مضيفاً :

ـ ولكنها لن تكون مشكلة كبيرة عندئذ ، فقبورهم ما زالت مفتوحة ، وأسماؤهم محفورة عليها بعمق .

صمتت لحظة ، قبل أن تقول ببرودها التقليدى :

ـ وبالنسبة لنظرية الاحتمالات ، ما الذى يؤكد على نحو حاسم ، أنهم ليسوا مخادعين ؟!

ابتسم ابتسامة ذئب ماكر ، وهو يسترخى فى مقعده ، قائلاً بكل الثقة :

ـ أنا تأكدت من أنهم لا يفعلون .

سألته فى إصرار :

ـ كيف ؟!

تراجع فى مقعده أكثر وأكثر ، وهو يقول فى خبث مستفز :

ـ خمنى .

ولم يمكنها تخمين ما يعنيه ..

أبداً ..

* * *

« إنها صرخة (ريهام) .. »

نطق (أدهم) العبارة فى هدوء ، وهو يجلس فى حجرة مدير المخابرات ، الذى اعتدل فى اهتمام ، قائلاً :

ـ صرختها كانت طبيعية للغاية ، بالنسبة لفتاة مقدمة على الموت .

أشار (أدهم) بسبابته ، وهو يبتسم ، قائلاً :

ـ ولكنها أطلقتها بالإسبانية .

تراجع المدير ، هاتفاً :

ـ آه .. وهذا بالطبع أقنع (إيفانوفيتش) بهويتها ، وهوية شقيقيها أيضاً ، فالفتاة التى تصرخ بالإسبانية ، وهى تواجه الموت ، هى حتماً إسبانية اللغة ، مما ينطبق تماماً على أرجنتينية .

أجاب (أدهم) :

- بالضبط .

عاد مدير المخابرات يميل إلى الأمام ، متسائلاً :

- وهل تعتقد أنه سيكتفى بهذا ؟!

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وهو يقول :

- لو أننى فى مكانه لما فعلت .

قال المدير فى اهتمام :

- المفترض أن تاريخهم معدّ بدقة مدهشة ، وعملاؤنا فى (الأرجنتين) سيعملون على تأييد كل خطوة ، وتغطية كل مرحلة ، مما سيجعل قصتهم سليمة تمامًا ، فما الذى يمكن أن يفعله (إيفانوفيتش) ، ليتأكّد من الأمر أكثر وأكثر .

نهض (أدهم) من مقعده ، وهو يقول فى حزم :

- ما دام ينتمى إلى الـ (كى . جى . بى) ، فلديه وسيلتان ، بخلاف التعذيب ، لانتزاع الحقائق من البشر ،

أو كشف كذبهم على الأقل .. إحداهما يمكن لأى محترف خداعها ، والأخرى تعتمد على سلب الإرادة البشرية تمامًا .

قال المدير :

- ولكنهما وسيلتان قديمتان عريقتان للغاية يا (ن - ١) .

هزّ رأسه ، قائلاً :

- الروس ما زالوا يؤمنون بفاعليتها حتى الآن .

ثم تنهّد فى عمق ، متابعًا فى شرود :

- المهم ألا يتأخّر (إيفانوفيتش) كثيرًا فى استخدام إحداهما ، وإلا ...

لم يتمّ عبارته ، ولكن المدير فهم ما يعنيه بالضبط ..

فالتأخير هذه المرة كان يعنى الفشل ..

الفشل التام ..

* * *

سرى توتر حقيقى فى جسد (ريهام) ، وهى تتطلع بقلق شديد إلى (إيفان إيفانوفيتش) ، ومساعدته القاتلة الباردة كالثلج (ميرا) ، التى راحت تعدّ شيئًا ما ، فى ركن القاعة الكبيرة ، التى نقلها إليها رجال (المافيا) الروسية ، وقيّدوها مع زميليها فى إحكام ، إلى مقاعد كبيرة ثقيلة ..

وفى برود صامت ظافر ، راح (إيفانوفيتش) يتطلّع إلى ثلاثتهم ، من مقعده الضخم المذهّب ، الشبيه بعروش القياصرة القدامى ، فقال (علاء) فى عصبية متعمّدة :

- ما الذى تنوى أن تفعله بنا بالضبط يا سيد (إيفانوفيتش) ؟! هل ستسعى لتعذيبنا ، جزاء ما فعلنا بك ؟!

هتف (شريف) :

- إننا لم نكن نعرفك .. أقسم لك إننا كنا نتصوّرك مجرّد ملياردير نفطى عادى .. أقسم لك .

أجابه (إيفانوفيتش) فى برود ظافر :

- أعلم هذا .

خفق قلب (ريهام) فى عنف ، مع عبارته الأخيرة ، وودت لو تطلق صرخة ظافرة قوية ، لولا الآلام التى تشعر بها ، مع الحبال المغروسة فى ذراعيها وساقيها ، وحتمية إخفاء مشاعرها الحقيقية ، وبذلت جهدًا حقيقيًا لتملأ صوتها بالتوتر ، وهى تقول :

- أطلق سراحنا إذن يا سيدى .. أرجوك .. سنغادر المكان ، ولن نتفوّه بحرف واحد ، عما حدث هنا .

قال (إيفانوفيتش) فى سخرية :

- حقًا ؟!

ثم انفجر ضاحكًا ، قبل أن يمسح شفتيه بأصابعه ، قائلاً :

- أثلجت صدرى .. كنت أخشى كثيرًا أن تفضحوا أمرى .

قال (علاء) فى سرعة :

- شقيقتى (جينا) لم تقصد هذا .. كل ما أرادت قوله هو ..

اعتدل (إيفانوفيتش) ، وهو يقول بصرامة شرسة مباغتة :

- دع لها قول ما تقصده ..

ازدرد (علاء) لعابه ، وهو يتابع ماتفعله (ميرا) ببصره قائلاً :

- سيد (إيفانوفيتش) .. ما الذى ستفعله بنا .

أشار (إيفانوفيتش) بيده ، وهو يتراجع فى مقعده فى استرخاء ، قائلاً :

- سأنتزع الحقيقة منكم .

صاحت (ريهام) ، بلهجة توحى بالذعر :

- بالتعذيب ؟!

مطّ شفتيه ، وهزّ رأسه ، قائلاً :

- الأغبياء والحمقى فقط من يسعون لانتزاع الحقيقة

بالتعذيب ، فكل ما سيحدث هو أنهم سيحصلون على ما يرغبون فى سماعه فقط ، وليس على الحقيقة المجرّدة ، فالشخص الخاضع للتعذيب سيقول أى شىء فى الوجود ، لينجو مما يقاسيه

ثم عاد يميل إلى الأمام ، ويشير بسبّابته ، متابعًا :

- ولأننى لا أثق قط بذلك النوع من الاعترافات ، فلقد رأيت أنه من الأفضل اللجوء إلى الوسائل الطبية أو العلمية ، التى يخضع الكل لقواعدها ، مهما اختلفت عقائدهم وجنسياتهم .

غمغم (شريف) فى ذعر :

- وسائل طبية وعلمية ؟! ماذا تعنى ؟!

لوّح (إيفانوفيتش) بسبّابته ووسطاه ، مجيبًا فى شراسة عجيبة مخيفة :

- هناك وسيلتان ، كنا نؤمن بنتائجهما كثيرًا ، أيام العمل فى الـ (كى. جى. بى) ، وكنا نحصل بهما على أفضل الاعترافات وأدقها ، من كل المعتقلين والأسرى ..

الأولى هى جهاز كشف الكذب ، الذى يقيس معدلات الشخص الحيوية ، فى أثناء إجابته على سيل متصل من الأسئلة ، لتحديد صدقه من كذبه ، وهى وسيلة فعّالة للغاية مع الأشخاص العاديين ، ولكن أى محترف حقيقى يمكن أن يدرّب نفسه على التعامل معها ، بحيث يضبط انفعالاته ، أو يجيب بذكاء خاص ، يعجز معه الجهاز عن كشف حقيقته .

ثم تألقت عيناه بوحشية عجيبة ، برزت فى وضوح من صوته ، وهو يضيف :

ـ أما الوسيلة الثانية ، فأنا أومن بها بحق .

تساءلت (ريهام) ، فى حذرٍ قلق :

ـ وما هى ؟!

استدارت إليها (ميرا) ، حاملة محقنًا طبيًا كبيرًا ، وهى تجيب :

ـ مصل الحقيقة .

اتسعت عينا (شريف) عن آخرهما ، وغمغمت (ريهام) :

ـ رباه !

أما (علاء) ، فقد انعقد حاجباه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين اتجهت ميرا نحوهم ، وهى تسأل (إيفانوفيتش) فى برود :

ـ من تختار ؟! الفتاة ؟!

هزّ رأسه نفيًا ، وقال بنفس البرود :

ـ كلاّ .. النساء لديهن قوة احتمال كبرى ، تفوق قدرة الرجال بكثير ، وإلا ما احتملن آلام ومتاعب الحمل والولادة .

سألته :

ـ من إذن ؟!

أشار إلى (شريف) ، وهو يسترخى فى مقعده ، مجيبًا :

ـ خبير الكمبيوتر .. فهؤلاء العباقرة ، الذين يهتمون كثيرًا بعقولهم ، يهملون بناء أجسادهم فى المعتاد .

اتجهت (ميرا) نحو (شريف) ، وكشفت ذراعه ، قائلة :

- نظرية معقولة .

واتسعت عينا (شريف) فى ألم مذعور ، عندما دفعت الروسية إبرة المحقن فى وريده ، وهى تقول ببرودها المستفز :

- إنه (بنتوثال الصوديوم) ، وتأثيره سحرى على ارتخاء الأعصاب ، وفقدان السيطرة على العقل الواعى ، بحيث يستحيل أن يكذب المرء ، أو ينتحل ما يخالف حقيقته ، وهو تحت تأثيره .

ثم دفعت المصل فى عروقه ..

وارتجف جسد (شريف) ..

ارتجف مع تلك التفاعلات ، التى تحدث فى جسده ..

التفاعلات القادرة على كشف الحقيقة ..

كل الحقيقة ..

* * *

٢ ـ الخطوة التالية ..

خفق قلب (منى) فى عنف ، وكادت تثب من مكانها فرحًا ، عندما استجابت لرنين باب منزلها ، فى الثامنة صباحًا ، ووجدته أمامها ..

(أدهم صبرى) ، بشحمه ولحمه ..

بأناقته وحنانه ..

برجولته الدافقة ..

ونظرة الحب المطلة من عينيه ..

اتسعت عيناها فى سعادة غامرة ، وهى تملأ كيانها بمرآه ، فى حين قال هو فى هدوء خافت :

- معذرة لقدومى فى هذه الساعة المبكرة ، ولكننى استيقظت فى السادسة ، وكنت أحتاج لمن أتحدث إليه .

هتفت بكل فرحة الدنيا :

- أتعتذر ؟! رباه ! لا يمكنك أن تتصور كم كنت أشتاق إليك .. تفضل يا (أدهم) .. ستسعد أمي كثيرًا برؤيتك .

ارتسمت ابتسامة باهتة مرهقة على شفتيه ، وهو يقول :

- أنا أيضًا تسعدني رؤيتها دومًا ، ولكنني لا أرغب في الجلوس في أية أماكن مغلقة اليوم .. سأنتظرك في سيارتي ، لنذهب إلى أي مكان مفتوح .

كل ذرة في كيانها كانت تصرّ على دعوته إلى الدخول ، إلا أن معرفتها العميقة به جعلتها تدرك أنه يحتاج بالفعل إلى سعة الصدر ، لذا فقد أشارت بسبابتها ، قائلة في حماس :

- سألحق بك بعد عشر دقائق على الأكثر ..

لم تكن الدقائق العشر قد مرت بالفعل ، عندما دلفت إلى المقعد المجاور له في سيارته ، متسائلة :

- أين تحب أن نذهب ؟!

أجاب دون أن يلتفت إليها ، وهو ينطلق بسيارته بالفعل .

- إلى أي مكان يحمل رائحة (مصر) .

ابتسمت ، قائلة :

- في هذه الحالة لدي اقتراح محدود ..

كان اختيارها موفقًا في الواقع ، حتى إنها قد لمحت الهدوء والسكينة يتسللان إلى ملامحه ، وهو يتطلع ، عبر الواجهة الزجاجية للفندق الأنيق ، إلى ذلك المشهد الذي يحمل رائحة (مصر) مائة في المائة ..

إلى أهرامات (الجيزة) ..

ولدقائق عشر أو يزيد ، لم ينبس كلاهما ببنت شفة ، حتى تسللت يدها تربّت على أصابعه ، وهي تقول في حنان :

- ألم تتجاوز المهمة مرحلة الخطر بعد ؟!

هزّ رأسه ، مجيبًا :

- بل هى تمرّ بأدق مراحلها .

تراجعت فى مقعدها ، متسائلة :

- وما آخر أخبار فريقك ؟!

قال فى خفوت :

- ما زالوا أحياء .

ثم هزّ رأسه ، مستطردًا فى مرارة :

- وهذا كل ما أعلمه عنهم .

سألته فى دفء حنون :

- ألا ترغب فى أن تتحدث عن الأمر ؟!

ابتسم دون تعليق ، فتنهدت ، قائلة :

- دون أية تفاصيل بالطبع .

كانت تشعر بالغضب أحيانًا عندما يلتزم معها بالكتمان ، ولا يفصح قط عن تفاصيل أية عملية ، لا تشترك فيها شخصيًا ..

إلا أنها ، وفى الوقت ذاته ، كانت تحترم فيه هذا بشدة ..

تحترم حبه لعمله ، وإخلاصه له ..

ولوطنه ..

ولها ..

ولكنها ، وفى تلك اللحظات بالذات ، شعرت أنها عاجزة عن فهمه ..

لقد أتى إليها ، لأنه يحتاج إلى من يتحدث إليه ..

وها هو ذا صامت تمامًا ..

لا يتحدث إلا لإجابة أسئلتها ..

وهو يبدو مهمومًا ..

إلى أقصى حد ..

هناك جحيم مستعر فى أعماقه ، لم يطف على سطحه بعد ..

وكم تتمنى لو أطفأت تلك الجحيم ..

كم تتمنى لو منحته كل حبها وحنانها ، حتى تنتزعه من همومه هذه ..

« (منى) .. ما رأيك لو نتزوّج ؟! »

انتفض قلبها بين ضلوعها فى عنف ، واتسعت عيناها عن آخرهما ، ووجدت نفسها تهتف بكل قوتها :

ـ هل تسألنى ؟!

انتبهت فجأة إلى أن صوتها مرتفع أكثر من اللازم ، وأنه قد أثار دهشة وانتباه الجميع ، فتضرّج وجهها بحمرة الخجل ، ومالت نحوه ، تقول بصوت مرتجف :

ـ (أدهم) .. أأنت جاد فى مطلبك هذا ؟!

ابتسم ، قائلاً :

ـ وهل يمكن الهزل ، فى مثل هذه الأمور ؟!

كانت الدموع تقفز من عينيها ، وهى تهتف :

ـ (أدهم) .. إننى .. إننى ..

قبل أن تتمّ عبارتها ، فوجئت به يثب من مكانه بغتة ، ثم يندفع نحو باب الفندق كالصاروخ ، فهتفت مذعورة :

ـ رباه ! ماذا حدث ؟!

ثم قفزت من مقعدها بدورها ، وانطلقت تعدو خلفه ، وهى تبحث بصورة غريزية عن مسدسها فى حقيبتها الصغيرة ..

وعند باب الفندق ، رأته ..

كان يعدو بأقصى سرعته ، خلف سيارة سوداء فاخرة ، تنطلق فى طريق (مصر ـ الإسكندرية) الصحراوى ..

واتسعت عيناها عن آخرهما ..

لقد رأت شخصًا افتقدته طويلاً ..

(أدهم صبرى) ، كما كان من قبل .. نفس القوة .. والنشاط ..

والإصرار ..

ولكنها لم تفهم ما يحدث ..

من يقود تلك السيارة السوداء ؟!

ولماذا يطاردها (أدهم) بهذا الإصرار ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

ومن بعيد ، رآه يتوقّف ، ويستل مسدسه ، ويصوّبه إلى السيارة ..

ثم يطلق النار ..

ولكن السيارة لم تتوقّف ..

لقد واصلت انطلاقها ، حتى اختفت وسط الطريق ، وانخفضت يد (أدهم) الممسكة بمسدسه في مرارة ..

وبأقصى سرعتها ، اندفعت (منى) نحوه ..

ومن بعيد ، تعالت أبواق سيارات شرطة تقترب ..

وعندما وصلت إليه ، كانت (منى) تلهث بشدة ، وهي تهتف :

ـ ماذا هناك ؟! ماذا حدث ؟!

كان وجهه شاحبًا ممتقعًا ، على نحو لم تعهده من قبل قط ، حتى إنها تراجعت بحركة حادة ، هاتفة في ارتياع :

ـ رباه ! (أدهم) .

وبكل مرارة الدنيا ، هزّ رأسه ، مغمغمًا :

ـ إنها هنا ..

سألته في لوعة :

ـ من هي يا (أدهم) ؟! من ؟!

انفرجت شفتاه ، ليتمتم :

ـ ابني .

هتفت ذاهلة :

ـ ابنك ؟! هنا ؟!

ومع آخر حروف كلماتها ، فوجئت به يسقط أمامها ..

ويفقد الوعي ..

تمامًا ..

* * *

« من أنتم بالضبط ؟! »

ألقى (إيفانوفيتش) السؤال فى صرامة ، على (شريف) ، الذى بدا شاحبًا ، زائغ النظرات ، يتصبّب العرق على وجهه بغزارة ، وازدردت (ريهام) لعابها فى صعوبة ، وهى تشيح بوجهها ، لتخفى توترها وانفعالها ، فى حين عضّ (علاء) شفته السفلى ، وقلبه يخفق فى قوة ، من فرط التوتر والانفعال ..

ولثوان ، بدا (شريف) ضائعًا شاردًا ، قبل أن يقول بصوت خافت :

ـ أنا (جاك أبوللو) ..

ظلّ وجه (ميرا) جامدًا قاسيًا ، على الرغم من نظرة الشك في عينيها ، فى حين بدا (إيفانوفيتش) صارمًا متماسكًا ، وهو يسأل :

ـ وماذا عن زميليك ؟!

أجابه (شريف) كالتائه :

ـ إنهما شقيقاى .. (جون) و (جينا) .

مال (إيفانوفيتش) إلى الأمام ، وهو يسأله فى صرامة :

ـ لماذا سرقتم أموالى ؟!

ارتجفت شفتا (شريف) بضع لحظات ، قبل أن يجيب :

ـ كنا نحتاج إلى النقود ، ونحلم بالثراء .

ابتسم (إيفانوفيتش) ، قائلاً :

ـ عظيم .

ثم أشار إلى (ميرا) ، مستطردًا :

ـ لو اتفقت إجابتك مع إجابات شقيقيك ، سيكون هذا من حسن طالعكم .

اتجهت (ميرا) نحو (ريهام) ، وكشفت ساعدها ، لتحقنها بالمصل ، فى حين أغلق (شريف) عينيه ، وراح جسده يرتجف ، من تأثير الانفعال فى أعماقه ، وهو يراجع ما حدث ..

العقار الذى ابتلعه ، عندما كان رجال (المافيا) الروسية يهاجمون المنزل ، فى (الأرجنتين) ، أثبت أن العميد (أدهم) عبقرى وبعيد النظر بالفعل ..



اتجهت (ميرا) نحو (ريهام) وكشفت ساعدها ، لتحقنها بالمصل .. في حين أغلق (شريف) عينيه ، وراح جسده يرتجف ..

لقد استخدموا معهم بالفعل مصل الحقيقة ، كما توقَّع في خطته تمامًا ..

وفي الوقت المناسب تمامًا ..

فالعقار المضاد لمادة (بنتوثال الصوديوم) ، يدوم مفعوله لأربع وعشرين ساعة فحسب ..

ولولا أن حملتهم طائرة (إيفانوفيتش) غربًا ، ووصلوا في الوقت المناسب ، لفشل ذلك الجزء من الخطة تمامًا ..

كان يتظاهر بفقدان السيطرة على نفسه ، وهو يرهف سمعه للأسئلة ، التي يلقيها (إيفانوفيتش) على (ريهام) ..

نفس أسئلته تقريبًا ، مع تعديلات بسيطة ..

ومن إجاباتها ، أدرك (شريف) أنها مثله ، ما زالت تسيطر على عقلها ، وإن تظاهرت بالعكس ..

ثم حان دور (علاء) ..

ومرت التجربة بسلام ..

وفى برود صارم ، قالت (ميرا) :

ـ أوامرك ياسيد (إيفانوفيتش) .

وهتف أحد الرجال :

ـ هل نعيدهم إلى زنزانتهم ؟!

صمت (إيفانوفيتش) بضع لحظات ، قبل أن يشير بيده ، قائلاً :

ـ كلا .. اذهبوا بهم إلى جناح الضيافة .

أشاحت (ميرا) بوجهها ، لتخفى علامات غضبها وتوترها ، فى حين تابع هو فى صرامة آمرة :

ـ كل الإجراءات المعتادة ، حتى تصدر أوامر أخرى .

وصمت لحظة ، ثم أضاف بنفس الصرامة :

ـ أو نحدد الدور ، الذى عليهم أن يلعبوه .

كانت (ريهام) تطلق صرخة فرح ، عندما سمعته ينطق هذه العبارة الأخيرة ، إلا أنها ، وطبقاً لمقتضيات

الأمر ، تظاهرت مع زميليها بأنهم ما زالوا تحت تأثير مصل الحقيقة ، ورجال (إيفانوفيتش) ينقلونهم إلى جناح الضيافة ..

وفى رأس كل منهم ، تردد سؤال حاسم قوى مخيف ..

الآن ، وبعد أن اجتازوا اختبارات الثقة ، فى (المافيا) الروسية .. ما الخطوة التالية ؟!

وبقى السؤال ملتهباً فى الرءوس والعقول الثلاثة تبحث فى قلق عارم عن جواب شاف ..

وتبحث ..

وتبحث ..

وتبحث ..

* * *

اندفع مدير المخابرات ، فى توتر بالغ ، إلى الجناح الخاص ، فى مستشفى (وادى النيل) ، التابع لجهاز المخابرات ، وهو يقول :

- ماذا حدث ؟! ماذا أصاب (ن ـ ١) ؟!

أجابته (منى) ، وهى تكتم دموعها فى صعوبة :

- لقد انهار .

هتف الرجل بدهشة منزعجة :

- انهار ؟!

أومأت برأسها إيجابًا فى مرارة ، وهى تقلب كفيها ، قائلة :

- لست أدرى ماذا حدث بالضبط ، ولكنه رأى شيئًا انتزع كل ذرة من انفعاله ، وجعله ينسى حالته الصحية ، ويعدو بكل قوته ، على نحو لم أره عليه منذ فترة طويلة ، خلف سيارة سوداء حديثة ، من طراز (بى. إم. دابليو) ، انطلقت عبر طريق (القاهرة ـ الإسكندرية) الصحراوى .

ثم رفعت سبابتها ، مضيفة فى توتر :

- سيارة مضادة للرصاص .

ردد مدير المخابرات ، وهو يعقد حاجبيه فى توتر :

- مضادة للرصاص ؟! هنا ؟!

ثم واجه (منى) ، متابعًا فى اهتمام :

- أخبرينى ما حدث بالضبط ، وبكل التفاصيل .

راحت تروى له التفاصيل بمنتهى الدقة ، شأن أية ضابطة مخابرات محنكة ، واستمع هو إليها بكل حواسه ، قبل أن يداعب ذقنه ، قائلاً :

إذن فكل ما قاله هو : (إنها هنا) ، ثم ذكر ابنه .. أتدرين ما الذى يعنيه هذا ؟!

أجابت بصوت ارتجفت نبراته ، من فرط التوتر والانفعال :

- (سونيا جراهام) .

لوّح بسبابته ، قائلاً فى صرامة :

- هنا .. فى (مصر) .

عاد حاجباه ينعقدان ، وهو يفكر فى عمق ، قبل أن يلتفت إلى مساعده ، قائلاً :

- ارسل صورة (سونيا) وبياناتها لكل المطارات والموانى ، ومناطق الحدود ، واطلب فحص قوائم الدخول ، منذ مايو الماضى وحتى صباح اليوم ، وأصدر أمرًا بمنع كل من يشتبه فى أمرها من مغادرة البلاد ، حتى يتمّ عرضها على مكتبنا فى المطار .

أسرع مساعده لتنفيذ الأوامر ، فى حين سأل المدير الطبيب المعالج فى قلق :

- كيف حاله الآن ؟!

زفر الطبيب فى أسى ، وهزّ رأسه فى حنق ، وهو يقول :

- لقد حدث ما كنت أخشاه .. مجهود فائق ، احتملته عضلاته القوية بعض الوقت ، ثم انهار جسده كله بعدها .

غمغم المدير فى قلق بالغ :

- إلى هذا الحد ؟!

لوّح الطبيب بيده ، قائلاً :

- هكذا الجسد البشرى .. قد تخدعه بعض الوقت ، وتجبره زمنًا على أداء ما يفوق قدراته ، إلا أنه لابد أن ينتصر فى النهاية ، وأن يستعيد كل ما انتزعته منه من قبل ، ولهذه القاعدة يخضع الكل .. من الفأر ، وحتى الأباطرة .

سأله المدير :

- المهم ما الذى يمكن فعله الآن ؟!

هزّ الطبيب كتفيه ، قائلاً :

- إننا نفعل كل ما بوسعنا ، فنحقنه ببعض المقويات ، ونحاول تعويض السوائل المفقودة من عروقه ودمه ، وسيحتاج حتمًا إلى فترة من النقاهة ، قبل أن يمكنه العودة إلى ما كان عليه .

سأله المدير ، فى قلق أكثر :

- وكم سيستغرق هذا تقريبًا ؟!

أجابه الطبيب فى أسف :

- ليس أقل من أسبوعين كاملين .

ازداد انعقاد حاجبى المدير فى شدة ، وهو يغمغم :

ـ أسبوعين ؟! يا إلهى !

انصرف الطبيب لأداء بعض أعماله ، فسألت (منى) المدير فى قلق :

ـ هل تعتقد أن (سونيا) هنا بالفعل ؟!

هز رأسه ، مجيبًا :

ـ لا يوجد تفسير آخر .

امتقع وجهها ، وهى تقول :

ـ يا إلهى ! لست أصدق هذا ! لقد نجحت تلك الأفعى ، دون أن تدرى ، فيما فشلت فيه طيلة عمرها ، مع كل ما بذلته من جهد .

قال المدير فى صرامة :

ـ لم تنجح بعد .. (ن ـ ١) قوى البنية ، وسيسترد قوته بأسرع مما يتوقع الأطباء بإذن الله .. أنا واثق من هذا .

وصمت لحظة ، قبل أن يستطرد فى توتر :

ـ المشكلة الحقيقية فى الـ

بتر عبارته فجأة ، فقالت (منى) ، فى توتر أكثر :

ـ أتقصد تلك المهمة ، التى يشرف عليها .

زفر المدير ، قائلاً :

ـ إنه يديرها كلها فى الواقع ، ويتابع كل تفاصيلها خطوة بخطوة .

قالت فى قلق :

ـ هناك حتمًا بديل له .

لوّح المدير بيده ، قائلاً :

ـ بل بدلاء .. لدينا عشرات الضباط ، الذين يمتلكون الكفاءة اللازمة ، للقيام بمهمة ضابط الحالة هذه ، ولكن الواقع أنه ، بالنسبة لهذه المهمة بالذات ، لن نجد من يفوق (أدهم) .

سألته مذعورة :

- إلى هذا الحد ؟!

صمت المدير بضع لحظات ، قبل أن يقول :

- دون الدخول فى أية تفاصيل ، يكفى أن تعلمى أن لهذه المهمةَ بالذات طابعًا خاصًا جدًا ، فهى ليست مباراة عقول فحسب ، كمعظم عمليات المخابرات الفعلية ، وإنما هى عملية تحتاج إلى العقل والقوة معًا ، وإلى خبرات واسعة ، فى التعامل مع أخطر مجرمى العالم ، وأقوى أجهزة المخابرات ، ثم إنها لابد أن تتمّ باحتكاك مباشر ، ودون خطأ واحد ، كما أنه من المحتم أيضًا ، أن ينخفض عدد من يعلمون بأمرها ، إلى الحد الأدنى ، خاصةً وأن أحداثها كلها تقع خارج الحدود ، ويقوم بها شبان جدد ، تم اختيارهم بمنتهى الدقة .

ثم تطلّع إلى عينيها مباشرةً مستطردًا :

- هل أدركت الآن لماذا يصعب العثور على بديل كفء لـ (ن - ١) ؟!

بدا عليها مزيج من القلق والتوتر والحيرة ، وهى

تتطلّع عبر الجدار الزجاجى لغرفة الرعاية المركّزة إلى (أدهم) ، الغارق فى غيبوبته ، وسط عشرات الأنابيب الدقيقة ، وأسلاك أجهزة الفحص والمتابعة ، وغمغمت :

- هل تعنى أنهم يواجهون الخطر بدونه ؟!

قال المدير فى حزم :

- الله (سبحانه وتعالى) معهم .

ثم لوّح بيده ، مستطردًا :

- أولئك الشبان لديهم خطة يسيرون على هديها ، ولكن كل شىء قابل للتغيير والتعديل ، فى أية لحظة ، والسؤال الفعلى والمخيف هنا هو : إذا ما انقلبت الأمور فجأة ، هل سيمكنهم مواجهة الموقف بنفس الكفاءة ، بدون (أدهم صبرى) ؟!

نعم يا سيادة المدير .. هذا هو السؤال ..

تُرى هل سيمكنهم هذا حقًا ؟!

هل ؟!

* * *

أسوأ مرحلة فى الخطة كلها ، من وجهة نظر (علاء) ، كانت تلك الساعات الخمس ، التى ينبغى أن يتظاهروا فيها بالتراخى والنوم ، كعرض جانبى لعمل الحقيقة ..

لقد أصابه ملل بلا حدود ، وهو يرقد فى فراشه ، متظاهراً بالنوم والاسترخاء ، فى حين يعمل عقله كالصاروخ ، مسترجعاً كل الأحداث السابقة ، ومحاولاً استنتاج أية أحداث قادمة ..

لقد نجحت خطة العميد (أدهم) ، حتى هذه اللحظة ..

واجتاز ثلاثتهم مرحلة الاختبار ..

وذروة الخطر ..

من وجهة نظرهم فحسب ..

أما بالنسبة لـ (أدهم) ، فقد كان له رأى يختلف ..

كان مقتنعاً بأن الخطر الحقيقى يبدأ ، عندما ينضمون بالفعل لمنظمة (المافيا) الروسية ..

وهم يطيعون كل أوامره ..

ويثقون بكل آرائه ..

حتى وإن عجزوا عن استيعابها ..

ولكن هذا لا يمنعه من التفكير فى الأمر ..

ترى أى خطر هذا ، الذى يشير إليه العميد (أدهم) ، فى تلك المرحلة ؟!

أى خطر ؟!

الخاطر نفسه جال بذهن (ريهام) ، وهى تتقلب فى فراشها الوثير ، متظاهرة بالنوم مثل زميليها ..

إنها واثقة من أن (إيفانوفيتش) يراقبهم الآن ، أو أن ذراعه اليمنى (ميرا) تفعل هذا على الأقل ..

ولوح الثلج الروسى هذه لا ترتاح لوجودهم أبداً ..

كل لمحة منها كانت تؤكد هذا ..

كل نظرة ..

كل التفاتة ..

ولأنها أنثى ، فهى قادرة على فهم واستيعاب طبيعة الأنثى ..

وإدراك نقاط قوتها ..

وضعفها أيضًا ..

ولكن العميد (أدهم) حذّرهم كثيرًا من الانسياق لمشاعرهم ، أو الاستسلام لعواطفهم ونزعاتهم ..

وهي مقتنعة بهذا تمامًا ..

ولهذا السبب وحده ، ستبتلع كل مشاعرها ، ومقتها لتلك الروسية الثلجية ، حتى ينتهي كل شيء ..

ولكن كم تتمنى أن تظفر بها يومًا ..

كم ؟!

كل هذا لم يدر بخلد (شريف) لحظة واحدة ..

فعلى عكس رفيقيه ، كان يرقد على فراشه باسترخاء شديد ، وقد ترك عضلاته كلها تستريح ، وأطلق العنان لعقله ..

عقله وحده ..

والواقع أن أسلوب تفكيره كان يختلف كثيرًا عن زميليه ..

ربما بحكم حياته المدنية ..

أو عقليته المرتبطة دومًا بعالم الكمبيوتر ..

العقلية الواقعية المنظّمة المنمّقة ، التي تؤمن فقط بالوقائع ، والقواعد ، والأدلة المادية وحدها ..

ولأن عقليته من تلك الطراز ، الذي يميّز شباب هذا الجيل ، فقد أدرك أن (إيفانوفيتش) سيراقبهم حتمًا ، كما أكّد لهم العميد (أدهم) وكما سيفعل هو نفسه ، لو أنه في موضعه ..

ولم يكن هذا يحنقه ، أو يثير توتره ..

بل على العكس ، كان يمتعه كثيرًا ..

كان نوعًا جديدًا من التحديات ، التي اعتاد مواجهتها ، أمام شاشة الكمبيوتر ..

الفارق الوحيد ، هو أن المواجهة مباشرة هذه المرة ..

وربما أكثر مما ينبغي ..

أو أكثر مما يحتمل ..

كما كان يظن ..

المدهش أن العميد (أدهم) كان واثقاً من أنه سيخوض التجربة ..

وسيحتمل ..

وينجح ..

خبرته جعلته يرى فيه، ما لم يره هو في نفسه ..

رأى صلابة قوية، تختفي خلف ذلك الهدوء العاقل الرصين، وقوة إرادة قادرة على مواجهة الصعاب، وتحدي المستحيل ..

رأى ما لم يره (إيفانوفيتش) ...

لم يكد الاسم يمرّ بخاطره، حتى انطلق رنين قوي في حجرته، فهبّ جالساً، وهو يهتف :

- ما هذا ؟!

نطقها بلسانية سليمة، وانفعال صادق، في نفس اللحظة التي دلفت فيها (ميرا) إلى حجرته، وعقدت ساعديها أمام صدرها في برود وقسوة، وهي تقول :

- انهض .. الزعيم ينتظركم في حجرة مكتبه، بعد عشر دقائق.

حدّق فيها بدهشة، فتابعت، وهي تستدير مغادرة الحجرة :

- الزعيم يقطع إصبعاً، مقابل كل دقيقة تأخير .. حاولوا أن تعتادوا هذا.

وثب من فراشه، وراح يرتدي حذاءه في سرعة، ولم تمض دقائق خمس، حتى كان مع زميليه (علاء) و (ريهام)، أمام حجرة مكتب (إيفانوفيتش)، وحراسه يفتشونهم بدقة مدهشة، قبل أن تدفع (ميرا) الباب، قائلة في صرامة :

- هيا.

دلف ثلاثتهم إلى حجرة المكتب الضخمة الواسعة، البالغة الفخامة والثراء، وبدا الانبهار الحقيقي واضحاً في عيونهم، على نحو أسعد (إيفانوفيتش) الذي أشار بيده في عظمة، قائلاً :

- يبدو أن قصتكم صادقة .. لقد راجعت بنفسى ملف والدكم ، ورأيت صوركم فى طفولتكم ، وعلمت كيف اختفيتم تمامًا ، بعد أن لقى مصرعه فى السجن .

أشار (علاء) بيده ، قائلاً :

- سيِّد (إيفانوفيتش) .. نحن نعتذر مرة أخرى عما فعلناه ..

سنعيد النقود إلى حسابك ، وسنعوِّضك عما أنفقناه منها ، و ..

قاطعه (إيفانوفيتش) ، وهو يميل إلى الأمام :

- ومن قال إننى أريد ما أنفقتموه ؟!

قال (شريف) فى سرعة :

- أستطيع تعويضك بأضعاف أضعافه ، لو منحتنى جهاز كمبيوتر ، يتصل بشبكة الإنترنت ، و ...

قاطعه فى شراسة :

- قلت : لست أريد ما أنفقتموه .

سألته (ريهام) فى حذر :

- كيف يمكننا الاعتذار إذن ؟!

عاد يتراجع فى مقعده ، ويلوّح بيده ، قائلاً :

- هناك ألف وسيلة لهذا .

سألته فى اندفاع :

- مثل ماذا ؟!

ارتسمت ابتسامة وحشية على شفتيه ، وهو يقول :

- آه .. تمامًا ككل النساء .. لسانك يسبق عقلك .

غمغمت (ميرا) معترضة :

- ليس كل النساء .

أطلق (إيفانوفيتش) ضحكة قصيرة ، وقال :

- لا أحد يضعك ضمن قائمة النساء ، يا عزيزتى (ميرا) .

بدا شىء من الضيق على وجهها ، وسط ثلوج

ملامحها الباردة ، وأشاحت بوجهها لتخفى حنقها ، وهو يعود لمواجهة أفراد الفريق الثلاثة ، قائلاً :

ـ أنتم كأشقاء ، تمثلون فريقًا متكاملاً ، بالنسبة لما كنتم تقومون به من أفعال صبيانية ، وكل منكم لديه حتمًا مايكمل الآخرين ، وإلا ما نجحتم فى انتزاع عدة أيام منا ، قبل أن نظفر بكم .

غمغمت (ريهام) ، فى حذر أكثر :

ـ أهذا نعى مسبق أم ماذا ؟!

تألقت عيناه ، وهو يقول فى صرامة :

ـ هذا يتوقف عليكم .

سأله (علاء) بصوت متوتر :

ـ ما الذى تريده منا بالضبط يا سيد (إيفانوفيتش) ؟!

أشار إليه زعيم (المافيا) الروسية ، قائلاً :

ـ أنت وشقيقتك لاتمثلون فائدة لنا ، من أى نوع ، فلدى مئات الرجال ، الذين يجيدون الضرب والركل والقتال ، وقناصين من أبرع من أنجبت الأرض ، ووجودكم فى صفوفنا لن يضيف إلينا جديدًا .

قالت (ريهام) :

ـ فى صفوفكم ؟! هل تعنى ..

قاطعها بإشارة صارمة من يده ، وهو يتابع :

ـ أما شقيقكم عبقرى الكمبيوتر هذا ، فهو إضافة جديدة لنا بالتأكيد .

قال (شريف) فى سرعة :

ـ أنا مستعد لتنفيذ كل ما تطلب .

مال (إيفانوفيتش) إلى الأمام ، وضاقت عيناه على نحو مخيف ، وهو يقول :

ـ أنت ستطيع كل أوامرى دون مناقشة .

ازدرد (شريف) لعابه ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد يا سيد (إيفانوفيتش) .. بالتأكيد .

ثم أشار بيده فى توتر ، متسائلاً :

ـ وماذا عن شقيقىّ ؟!

مط (إيفانوفيتش) شفتيه ، وهز كتفيه ، قائلاً :

- قلت : إننا لسنا بحاجة إليهما.

ثم استدار إلى (ميرا) متسائلاً :

- ما الذى نفعله بمن لا نحتاج إليهم ؟!

تألقت عيناها ، ببريق وحشى عجيب ، وهى تستلّ مسدسها من حزامها .. قائلة فى شىء من الجذل :

- لنتخلّص منهم .

تراجع فى استرخاء ، قائلاً :

- بالضبط .

وارتفعت فوهة مسدسها فى وجوههم ، وعيناها تحملان نظرة مخيفة ..

نظرة جبل جليدى ..

قاتل .

* * *

٤ـ الأفعى ..

ما يحدث هو المستحيل بعينه !!

أن ينهار جسد (أدهم صبرى) ، كما ترى أمامها الآن !

لم تتصوَّر أبدًا أن يحدث هذا يومًا ..

لقد رافقته فى عشرات العمليات ، التى اعتبرها الكل مستحيلة ، واجتازها هو بنجاح مذهل ، وبراعة شهد لها العدو قبل الصديق ..

كل أجهزة المخابرات العالمية العملاقة ، ذاقت مرارة الهزيمة على يديه ..

أو بمعنى أدق .. قبضتيه ..

كل منظمة للجريمة أو الجاسوسية ، صارت تحفظ اسمه وملامحه عن ظهر قلب ، بعدما حطّم أنوفها ، ونسف كياناتها ، وأذل نواصيها دومًا ..

فماذا أصابه الآن ؟!

ماذا فعل به الزمن ؟!

كيف بلغ الأمر بجسده حد الانهيار ، لمجرد أنه يطارد سيارة ؟!

لقد شاهدته مرات يطارد طائرات هليكوبتر ..

بل ويُسقطها ..

فماذا حدث هذه المرة ؟!

هل أصيب جسده بالإنهاك فعلاً ، حتى لم يعد يحتمل العنف والنشاط الزائد ؟!

أم أنه الانفعال ؟!

الانفعال لرؤية (سونيا) ، هنا فى (القاهرة) ؟!

إنها لا تدرى حتى الآن ماذا تفعل تلك الأفعى هنا !!

ولكنها واثقة من أن (أدهم) لم يخطئ ..

لقد رآها بالفعل ..

وطاردها ..

وكانت سيارتها مضادة للرصاصات ..

وهذا فى حد ذاته دليلٌ قوىٌ ..

ولكن يبقى السؤال ..

لماذا هى هنا ؟!

لماذا ؟!

لماذا ؟!

ولكن فلتذهب الأفعى (الموساد) إلى الجحيم ..

المهم أن يبقى هو ..

وأن يعود إليها ..

وإلى ما كان عليه ..

إنها لا تحتمل رؤيته هكذا ..

لا تحتمل أبدًا ..

انهمرت الدموع من عينيها فى غزارة ، وهى تجلس إلى جوار فراشه ، فى حجرة العناية المركزة ، وهتفت من أعمق أعماقها :



ضحكت ، على الرغم من دموعها ، واحتضنت يده بكفيها ، هاتفة :
ـ حمداً لله على سلامتك . . .

ـ ساعده يا إلهى ! أعده إلىّ .. أعده إلينا جميعًا .

وعادت الدموع تنهمر بغزارة أكثر ..

وأكثر ..

« لم تبكين ؟! »

انتفض جسدها فى عنف ، ووثب قلبها بين ضلوعها ، عندما تسلّل سؤاله الخافت الدافئ إلى أذنيها ، فى نفس اللحظة التى مسحت فيها أصابعه دموعها ، فى حنان دافق ، فرفعت وجهها إليه ، هاتفة بكل كيانها :

ـ (أدهم) .. حمدًا لله .. حمدًا لله .

ابتسم فى شحوب ، قائلاً :

ـ العميد (أدهم) أيتها المقدّم .. هل نسيت فارق الرتب ؟!

ضحكت ، على الرغم من دموعها ، واحتضنت يده بكفيها ، هاتفة :

ـ حمدًا لله على سلامتك .

أومأ برأسه فى حنان ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، قائلاً :

ـ إنها هنا .

أجابته فى خفوت :

ـ أعلم هذا . لقد عثروا على بيانات تنطبق عليها ، ضمن من دخلوا إلى البلاد ، يوم السبت الماضى .. لقد حضرت بجواز سفر بلجيكى ، واختفت تمامًا داخل (مصر) .

هز رأسه ، قائلاً :

ـ الأفعى هنا .

قالها ، ونهض جالسًا على طرف فراشه ، فهتفت فى انزعاج :

ـ ماذا تفعل ؟!

أجاب فى صرامة ، وهو ينتزع الأسلاك والأنابيب من جسده وذراعيه :

ـ الوقت لا يحتمل الرقاد .

صاحت مذعورة :

ـ ولكن الطبيب أكد أن ..

دفعها أمامه خارج الحجرة ، وهو يقول :

ـ أنت تعرفين الأطباء .. إنهم يبالغون دائمًا .. هيا .. انتظرى فى الخارج ، لأننى أحتاج إلى إبدال ثيابى .

لم يكد يغلق الباب خلفها ، حتى هرعت إليها رئيسة طاقم التمريض ، فى هلع شديد ، وهى تهتف :

ـ ماذا حدث ؟! لوحة المتابعة تصرخ كلها(*) ، وكأنما أصابها جنون !

زفرت (منى) ، قائلة :

ـ إنه يرتدى ملابسه .

اتسعت عينا الممرضة عن آخرهما ، وهى تهتف مرتاعة :

(*) لوحة المتابعة : مجموعة من المصابيح ، التى تتصل بكل أجهزة الفحص الدورية ، المتصلة بجسد مريض العناية المركزة ، ومهمتها أن تطلق إنذارًا صوتيًا وضوئيًا ، إذا ما توقف أى الأجهزة عن العمل ، إما لانفصاله عن جسد المريض ، أو توقف الوظائف الحيوية له .

- يرتدى ماذا ؟!

ثم اندفعت نحو الحجرة ، مستطردة فى ذعر :

- إنه مجنون .. لا يمكن أبدًا أن ..

قاطعها (أدهم) ، وهو يفتح باب الحجرة ، قبل أن تبلغ يدها مقبضه ، ويقول فى صرامة :

- أخبرى الطبيب أننى فى مكتبى .. سأطيع أوامره بالنسبة لأية أدوية أو علاجات ، باستثناء الرقاد هنا ، فأمامى الكثير من العمل .

كان شاحب الوجه بشدة ، ولكنه يرتدى كامل ثيابه ، حتى رباط عنقه ، ولقد ابتعد بخطوات واسعة سريعة ، وهو يقول لـ (منى) :

- هيا بنا .

صاحت به الممرضة مذعورة :

- لا يمكنك أن تتصرف هكذا .

تجاهل صيحتها تمامًا ، وهو يقول لـ (منى) :

- هيا .. عودى إلى منزلك ، فهيئتك توحى بأنك تحتاجين إلى بعض الراحة .

هتفت مستنكرة :

- أنا ؟!

تجاهل ما يعنيه هتافها ، وهو يلقى نظرة على ساعته ، قائلاً :

- رباه ! إننى فاقد الوعى منذ فترة طويلة .. ترى كيف سارت الأمور فى أثناء هذا ؟!

كانت تعدو إلى جواره تقريبًا ، وهى تقول لاهثة :

- رجال الشرطة أغلقوا الطريق ، من (القاهرة) إلى (الإسكندرية) ، ورجالنا تعاونوا معهم ، فى فحص كل السيارات التى عبرته ، ولكنهم لم يعثروا قط على الـ (بى . إم . دابليو) السوداء ، المضادة للرصاصات .

انعقد حاجباه ، وهو يقول :

- إنها فى مكان ما بينهما إذن .

قالت لاهثة :

ـ ذلك الطريق يمكن أن يقود أيضًا إلى (السادس من أكتوبر) ، أو (الفيوم) ، والرجال يحاولون البحث فى كل المناطق المحتملة ، ولكن هذا سيحتاج إلى الكثير من الوقت .

قال فى صرامة :

ـ المهم هو السبب .. السبب الذى يجعلها تجازف بالمجئ إلى هنا ، بوجه عار .

قالت فى انفعال :

ـ لا ريب فى أنه سبب بالغ الأهمية .

غمغم فى توتر :

ـ أخشى أن ..

بتر عبارته دفعة واحدة ، فسألته فى فضول :

ـ أن ماذا ؟!

ازداد انعقاد حاجبيه ، وهو يقول :

ـ (منى) .. عودى إلى منزلك ، فالعمل يناديني .. هيا .

أحنقها هذا القول ، وحاولت أن تعترض ..

أو أن تبقى إلى جواره ..

على الأقل من أجل قلقها عليه ، الذى يكاد يلتهم كل ذرة من كيانها ..

ولكن لهجته كانت صارمة للغاية ..

وهى أكثر من يدرك عدم جدوى مناقشته ، فى مثل هذه الظروف ..

لذا فقد توقفت ، مغمغمة فى عصبية :

ـ فليكن .. حاول ألا ترهق نفسك .

أجابها ، وهو يواصل سيره ، بنفس الخطوات الواسعة السريعة :

ـ بالتأكيد .

أرادت أن تهتف باسمه ، وهو يبتعد عنها ..

أرادت هذا بكل ذرة فى كيانها ..

ولكنها لم تفعل ..

فقط تابعته ببصرها فى قلق ولوعة ، قبل أن تهمس :

ـ لا ترهق نفسك كثيراً .. من أجلى على الأقل .

قالتها ، وهى واثقة من أنه لن يبالى بأى شىء فى الوجود ، حتى ذاته نفسها ، ما دام الأمر يتعلّق بأمن وسلامة معشوقته الأولى ..

(مصر) ..

* * *

هبَّ (نيكولاس ديمترى) من مقعده ، فى توتر بالغ ، عندما اقتحم (هانز) جناحه بأسلوب فجّ فهتف فى حنق :

ـ ما هذا يا رجل ؟! ألم تتعلّم فى حداثتك طرق الأبواب قبل الدخول ؟!

مطّ (هانز) شفتيه فى امتعاض ، وهو يتابع ببصره الحسناء الفرنسية ، التى وثبت تلتقط ثيابها فى ذعر ، وقال فى خشونة :

ـ لو أننى تعلّمت هذا ، لما أصبحت على ما أنا عليه الآن .

قهقه (نيكولاس) ضاحكاً ، وهو يقول :

ـ صدقت .

وتجاهل الفرنسية ، التى هرعت خارج الجناح مذعورة ، وهو يرتدى معطفاً منزلياً حريرياً ، قائلاً :

ـ ماذا هناك ؟!

أجابه (هانز) فى خشونة :

ـ لقد حدّدوا موعد ومكان التسليم .

هتف (نيكولاس) فى لهفة :

ـ حقاً ؟!

وصل (شوكت) فى تلك اللحظة ، ودلف إلى المكان ، قائلاً :

- ماذا حدث ؟! (هانز) دعانى لمقابلته هنا ، ولكننى شاهدت حسناء تعدو بنصف ملابسها ، و ...

قاطعه (هانز) :

- ستتسلّم شحنة الأسلحة مساء السبت القادم .

ارتفع حاجبا (شوكت) لحظة فى دهشة ، ثم انخفضا فى سرعة ، وهو يسأل فى اهتمام بالغ :

- أين ؟!

أجابه فى بطء :

- عند الحدود .

سأله (نيكولاس) :

- أية حدود ؟!

أجاب فى عصبية واضحة :

- كما توقعنا تماما .. الحدود المصرية الإسرائيلية .

ارتفع حاجبا (شوكت) فى دهشة ، فى حين عقد (نيكولاس) حاجبيه ، قائلا :

- يا للسخافة ! هذا يجعل الأمر عسيرًا للغاية .. صحيح أن الإسرائيليين قد وقّعوا معاهدة سلام مع المصريين ، منذ ما يزيد على عقدين من الزمن ، إلا أن الطرفين مازالا يتعاملان مع بعضهما بحساسية مفرطة ، والحدود تتم مراقبتها بدقة بالغة . فكيف يمكن تهريب شحنة هائلة من الأسلحة كهذه ، عبر حدودهما المشتركة ؟!

وغمغم (شوكت) :

- هذا لا يروق لى أبدًا .

مطّ (هانز) شفتيه بعض الوقت ، قبل أن يجذب مقعدًا ، ويلقى جسده عليه ، قائلاً فى صرامة محنقة :

- الأمر عندى يتجاوز هذه الحدود .

التفت إليه الاثنان ، فى تساؤل قلق ، فتابع فى غضب :

- إننى أشعر بعاصفة من الشك ، تكاد تجتاح نفسى .

سأله (نيكولاس) فى حذر :

ـ الشك فى ماذا ؟!

أجاب فى حدة :

ـ فى نوايا (إيفانوفيتش) هذا .

تبادل (شوكت) و(نيكولاس) نظرة شديدة التوتر، قبل أن يجلسا بدوريهما حول المائدة ، فى منتصف الجناح ، والأول يقول :

ـ ما الذى تخشاه بالضبط ؟!

مال نحوهما ، قائلاً :

ـ لماذا فى رأيكما ، اختار (إيفانوفيتش) تلك الحدود الملتهبة ، لتسليم صفقة أسلحة كهذه ، تحوى أحدث وأقوى آليات وتكنولوجيا العصر ؟

صفقة كافية لإثارة أعصاب دولة كاملة .. وغضبها أيضًا .

تراجع (نيكولاس) بحركة حادة ، وهو يقول :

ـ ماذا تعنى ؟!

أشار (هانز) إلى رأسه ، قائلاً :

ـ أعنى أننى أتساءل : ماذا لو ذهبنا لاستلام الصفقة ، ثم فوجئنا بالقوات المصرية تحيط بنا ، وتتهمنا بالعمل لحساب (إسرائيل) ، أو العكس ؟!

اتسعت عينا (شوكت) فى هلع للاحتمال ، وهتف :

ـ يا للبشاعة ! أيمكن بالفعل حدوث هذا ؟!

هزّ (هانز) كتفيه فى عصبية ، وقال :

ـ ولِمَ لا ؟! ستكون ضربة بارعة للغاية ، من (إيفانوفيتش) ، لقد تقاضى قيمة الصفقة تقريبًا ، وبرسالة صغيرة إلى نظم الأمن المصرية ، يتم القضاء على زعماء ثلاث منظمات إرهابية قوية ، وربما المنظمة التى تموّل العملية كلها أيضًا ، ويصبح (إيفانو فيتش) زعيمًا للجريمة ، فى العالم أجمع .. زعيمًا منفردًا .

تراجع (نيكولاس) فى ذعر ، وعقله يدرس هذا التصوّر المخيف ، واتسعت عيناه على نحو مضحك ، وهو يقول :

- لا .. لا .. مستحيل أن يفعل (إيفانوفيتش) هذا .. إنه لم يسع إلينا لعقد تلك الصفقة .. نحن ذهبنا إليه .

نهض (هانز) ، ودقّ سطح المنضدة بقبضته ، قائلاً :

- لست مستعداً للتضحية بعمرى ومستقبلى ، لاختبار نزاهة ذلك القرد الروسى .

قال (شوكت) فى عصبية :

- وماذا علينا أن نفعل إذن ؟! هل نرفض الصفقة الآن ؟!

هتف (نيكولاس) :

- وماذا لو كنا واهمين ؟! هل نضيع صفقة العمر ، من أجل بعض الشكوك ؟!

بدا التوتر الشديد على وجه (هانز) ، وهو يعتصر عقله وأعصابه ، فى محاولة لحسم الأمر ..

إلا أنه لم يستطع ..

لم يستطع أبداً ..

كان الاحتمالان متساويين فى رأسه تماماً ..

النجاح ..

والفشل ..

ولأن عقله قد عجز عن حسم الأمر ، فقد عاد يدق المنضدة بقبضته ، قائلاً فى صرامة غاضبة عصبية :

- لابد أن نتصل بذلك الجنرال الملعون ، مندوب تلك المنظمة المموّلة .. ما اسمه .

أجابه (نيكولاس) فى سرعة :

- (كروجر) .. (مارك كروجر) .. إننى أحمل رقم هاتفه دوماً .

أشار إليه (هانز) فى صرامة ، قائلاً :

- اتصل به فوراً إذن .

هتف (نيكولاس) مستنكراً :

- فى هذه الساعة ؟!

صاح فى غضب :

نعم .. فى هذه الساعة .. أخبره أننا نحتاج إلى مقابلته فورًا ، حتى ولو اضطررنا إلى انتزاعه من فراشه انتزاعًا .. هل تفهم .. أريد مقابلته فورًا .

كانت كل كلمة من كلماته ترتجف غضبًا ، وقبضته تدق سطح المنضدة للمرة الثالثة ..

فالقلق كان يعصف بنفسه بعنف ..

بمنتهى العنف ..

* * *

« ما فعلته بشقيقىّ لم يكن لائقًا أبدًا .. »

هتف (شريف) بالعبارة فى غضب شديد ، وهو يواجه (إيفانوفيتش) ، فتحفّز الكل على نحو واضح ، وقفزت الأيدى إلى المسدسات القوية ، المختفية خلف السترات السميكة ، وقالت (ميرا) فى صرامة :

- إياك أن تتحدث إلى الزعيم بهذا الأسلوب .

أشار إليها (إيفانوفيتش) بالصمت ، وهو يميل نحو (شريف) ، قائلاً فى سخرية صارمة :

- لم يكن لائقًا ؟! ومن تحدث هنا عن اللياقة يا فتى ؟!

لوّح (شريف) بذراعيه ، هاتفًا فى حنق :

- ولكن لماذا ؟! لماذا فعلت بهما هذا ؟! ألم نجتز جميعًا اختبارات الثقة ، على حد قولك ؟!

قال (إيفانوفيتش) فى صرامة :

- الاختبارات الأولية فحسب .

ثم انعقد حاجباه ، فى صرامة أشد ضراوة ، ونظرة أكثر وحشية ، وهو يضيف :

- وهذا آخر جواب ستحصل عليه منى ، لأنها آخر مرة يسمح لك فيها بإلقاء الأسئلة .. وتذكر أن العمل على الكمبيوتر ، وعبر شبكات الاتصالات والإنترنت ، لا يحتاج إلى اللسان .

أدرك (شريف) ما يعنيه هذا ، فجف حلقه بشدة ، وهو يغمغم بصوت مختنق :

- بعض المواقع يستحيل اختراقها ، دون شفرة صوتية .

قالت (ميرا) ببرودها التقليدى :

- حتى هذه ، لانحتاج إلى اللسان .

صمت (شريف) لحظة فى شحوب ، ثم لم يلبث أن قال فى عصبية :

- وكيف يمكن أن يبرع المرء ، مع كل هذا القهر ؟!

ابتسم (إيفانوفيتش) ، قائلاً :

- سرعان ما تعتاد هذا .

قال (شريف) فى مرارة :

- ولكن ...

قاطعه (إيفانوفيتش) بصرخة وحشية غاضبة :

- اخرس .

اتسعت عينا (شريف) فى ارتياع ، ثم عادتا تضيقان ، وحاجباه ينعقدان فى غضب ، فى حين تابع (إيفانوفيتش) فى صرامة مخيفة :

- منذ هذه اللحظة ستتعلم طاعة الأوامر دون مناقشة .. ستنسى تماماً (جاك أبوللو) .. بل والإخوة (أبوللو) كلهم ، وستصبح فرداً مطيعاً فى (المافيا) الروسية ، تنفذ أوامرها ، وتقاتل باسمها ، وتبذل حياتك من أجلها ، وإلا فستبذل حياتك أيضاً ، ولكن من أجل عنادك هذه المرة .. هل تفهم ؟!

غمغم (شريف) :

- أفهم .

كان هذا نجاحاً منقطع النظير ، لخطة (أدهم صبرى) ، إلا أن (شريف) لم يستطع الشعور بالظفر والارتياح ، مع قلقه العارم ، وهو يسأل فى حذر :

- وماذا عن (جون) و (جينا) ؟!

انتزعت (ميرا) مسدسها ، قائلة :

- لقد حذرناك من إلقاء الأسئلة .

أشار إليها (إيفانوفيتش) ، لتعيد مسدسها إلى غمده ، وهو يقول فى هدوء صارم :

- الأمر الطبيعى ، فى مثل هذه الظروف ، أن تتخلص من شقيقيك ؛ لأنه لا فائدة منهما هنا .

ثم ارتسمت على شفتيه ابتسامة وحشية ساخرة ، وهو يضيف :

- ولكننى عثرت على فائدة لهما .

غمغم (شريف) فى عصبية :

- بإعادتهما إلى ذلك القبو المظلم الرطب ، وقد بدأ الجليد يتساقط ، ودرجة الحرارة تنخفض فى سرعة ، ونحن فى (الأرجنتين) لم نعتد هذه البرودة الشديدة ؟!

قال (إيفانوفيتش) فى صرامة :

- هل تفضّل نقلهما إلى قبر دافئ ؟!

انخفض صوت (شريف) ، وهو يقول فى مرارة :

- ولكنك تقول إنك قد وجدت فائدة لهما .

هزّ (إيفانوفيتش) كتفيه ، وهو يقول :

- هذا يتوقّف عليك .

هتف (شريف) فى سرعة :

- أنا رهن إشارتك .

انعقد حاجبا (إيفانوفيتش) ، وهو يقول فى غلظة وحشية :

- أنت مضطر لهذا .

ثم استرخى فى مقعده ، متابعًا بنفس الأسلوب :

- ولكن وجود شقيقيك فى قبضتى ، يضمن ولاءك أكثر .. على الأقل فى هذه المرحلة .

رسم (شريف) اليأس على ملامحه ، وهو يقول فى استسلام :

- ما الذى تريده منى بالضبط أيها الزعيم ؟!

راق أسلوبه لزعيم (المافيا) الروسية ، فأشار بيده ، قائلاً :

- ظهوركم ، فى هذه الفترة بالذات ، يبدو لى أشبه بضربة من ضربات القدر .. لصالحى بالطبع ، فالعجيب أننا نبدأ بالفعل مرحلة جديدة من تاريخنا .. مرحلة تحتاج إلى كل مهارات الأرض ، وخصوصًا تلك الخاصة بالتعامل فى عالم الاتصالات الفائقة .

كررّ (شريف) بنفس الخضوع :

ـ أنا رهن إشارتك .

تجاهل (إيفانوفيتش) العبارة تماما ، وهو يتابع :

ـ فمن مميزات هذا العصر ، أن كل شىء أصبح يرتبط بالتكنولوجيا والاتصالات .. كل شىء وكل جهة ، فهذا يجعل العالم كله عند أطراف أصابعك ، على نحو بسيط وسريع ، وبإغراء تستحيل مقاومته ، بالنسبة للأفراد والجهات .. ولكن لكل شىء منافعه ومضاره ، ونقاط قوته وضعفه .. وكما يمنحنا الكمبيوتر مع الاتصالات الفائقة القدرة على الإبحار ، فى كل شبر من العالم ، دون أن نغادر مقاعدنا ، فهو يمنح الآخرين أيضا فرصة الإبحار فى عالمنا ، وكشف خبايانا وأسرارنا .

غمغم (شريف) :

ـ هذا أمر طبيعى .

تجاهل (إيفانوفيتش) هذه العبارة أيضا ، وهو يستطرد :

ـ ولأن المميزات طاغية ، ومن غير الممكن أو المنطقى تجاهلها ، مع التطورات التقنية السريعة ، صار على كل جهة أن تنطلق فى عالم الاتصالات اللامحدود ، وأن تحمى موقعها من الاختراق ، فى الوقت ذاته .

قال (شريف) فى اهتمام :

ـ لا يوجد موقع يستحيل اختراقه .

أشار إليه (إيفانوفيتش) هذه المرة ، قائلاً :

ـ بالضبط .. كلمة مستحيل لاوجود لها فى هذا العالم ، ولكن هذا لايعنى أيضا أن الاختراق عملية بسيطة ، فربما يمكن القيام به ، على نحو أو آخر ، فى المواقع ذات الامتدادات العامة ، أو التى تتعامل مع جمهور عريض من المتلقين ، ولكنه أشبه بموقعة حربية ، بالنسبة للمواقع الخاصة ، فى الشبكات المغلقة ، حيث تكون هناك عشرات من وسائل وبرامج الحماية والتأمين ، لمنع الاطلاع على تلك الاتصالات السرية ، بكل وسيلة ممكنة .

ثم تألقت عيناه ، وهو يميل نحو (شريف) ، قائلاً :

- والمطلوب منك أن تنجح فى اختراق أحد تلك المواقع الخاصة جداً ، والتى تحاط بسياج منيع من وسائل وبرامج الحماية والتأمين .

قال (شريف) فى انبهار :

- ولكن هذا أمر عسير للغاية .

قال (إيفانوفيتش) بصرامة :

- ليس أكثر من اختراق نظم تأمين بنك (انجلترا) ، وسرقة أموالنا .

قال متوتراً :

- ولكنكم كشفتم الأمر بالفعل .

أجابه الروسى بكل صرامة وشراسة الدنيا :

- لن نسمح بتكرار هذا الخطأ .

هزّ (شريف) رأسه ، قائلاً :

- لن يكون هذا سهلاً أبداً .

ثم رفع عينيه إلى الروسى ، مضيفاً فى حزم :

- ولكننى سأبذل قصارى جهدى .

ارتسمت ابتسامة مخيفة على شفتى (إيفانوفيتش) ، وهو يكرّر عبارته السابقة :

- أنت مضطر لهذا .

وتبادل نظرة عابثة مع (ميرا) ، قبل أن يتابع :

- ستعمل على هذا الكمبيوتر الفائق .. هنا فى مكتبى .. وتحت بصرى مباشرة ، وبإشراف (ميرا) ، التى لا تقلّ عنك خبرة ، فى الكثير من شئون التكنولوجيا ، وسيظلّ شقيقاك فى زنزانتهما ، والبرودة تتضاعف فى كل ساعة تمرّ ، حتى تنجح فى مهمتك ، وإلا ..

نطق الكلمة الأخيرة بكل صرامة الدنيا ، وعلى نحو جعل (شريف) يتراجع ، مغمغماً :

- سأفعل كل ما بوسعى .. أقسم لك .

تألقت عينا (إيفانوفيتش) مرة أخرى فى ظفر ، وهو يتراجع فى بطء ، قائلاً :


رمقه (إيفانوفيتش) بنظرة صارمة ، وهو يقول : ـ يكفى أن تعرف لمن ينتمى ذلك الموقع ، المفترض أن تعثر عليه وتخترقه ...

ـ عظيم .. والآن ، وحتى لانضيع المزيد من الوقت ، وحتى لايعانى شقيقك من البرد القارس فى زنزانتهما ، أقترح أن تبدأ عملك فوراً .

اتجه (شريف) نحو الكمبيوتر الكبير مباشرة ، وهو يقول :

ـ بالتأكيد .. أخبرنى فقط أى موقع ترغب فى اختراقه .

أجابه (إيفانوفيتش) ، فى استرخاء تام :

ـ إننى أجهل الموقع تماماً .

توقّف (شريف) فى دهشة ، مغمغماً :

ـ كيف يفترض أن أتوصّل إليه ، دون أية معلومات إذن ؟!

رمقه (إيفانوفيتش) بنظرة صارمة ، وهو يقول :

ـ يكفى أن تعرف لمن ينتمى ذلك الموقع ، المفترض أن تعثر عليه وتخترقه .

سأله (شريف) بفضول حقيقى :

ـ لمن ؟!

مال نحوه كثيرًا هذه المرة ، وهو يجيب :

ـ المخابرات العامة المصرية .

وكانت مفاجأة مذهلة بحق ..

وبكل المقاييس .

* * *



٥ ـ صدمة ..

« ما الذى تفعله هنا بالله عليك ؟! »

هتف مدير المخابرات بالعبارة ، فى مزيج من الغضب والاستنكار ، وهو يدلف إلى مكتب (أدهم) ، فى مبنى المخابرات العامة ثم استطرد فى حدة :

ـ طبيبك المعالج يكاد يجنّ من تصرفاتك هذه ، ويقول : إن عملك خارج الحدود كان أفضل كثيرًا .

نهض (أدهم) فى احترام ، قائلاً :

ـ إننى أشاركه هذا الرأى .

هتف به المدير :

ـ لماذا غادرت قسم العناية المركّزة ؟!

هزّ (أدهم) كتفيه ، قائلاً فى حزم :

ـ العمل لا يمكنه الانتظار .

قال المدير فى صرامة :

ـ والصحة أيضًا .

مطّ (أدهم) شفتيه فى مرارة ، وهزّ رأسه ، قائلاً :

ـ (سونيا) هنا .

قال المدير بلهجة قوية :

ـ نحن نبحث عنها .

رفع (أدهم) عينيه إليه ، قائلاً فى توتر :

ـ لماذا أنت ؟! ما الذى تفعله هنا ؟!

أشار المدير بيده ، وهو يقول :

ـ فى رأيى أنها هنا ، من أجل الصفقة نفسها .

قال (أدهم) فى بطء حذر :

ـ صفقة الأسلحة الروسية ؟!

أومأ المدير برأسه إيجابًا ، وقال فى حزم :

ـ معلوماتنا تقول : إنها صفقة ضخمة للغاية ،

وأن الهدف منها هو القيام بأضخم عملية عرفها تاريخ الإرهاب فى (مصر) ، ولو أن (سونيا) تنتمى إلى المنظمة المجهولة ، التى تموّل هذه الصفقة ، فهذا يبرّر ، إلى حد ما ، قدومها إلى (مصر) ؛ للإشراف على العملية كلها عن قرب .

انعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يقول :

ـ تفسير منطقى .

ثم مال إلى الأمام ، متابعًا :

ـ ولكن لماذا تجوّل بهذه الحرية ، وبوجه عار تمامًا ، وكأنها تتحدّى الجميع ؟!

قال المدير :

ـ ربما أنها لم تتوقّع أن يتعرّفها أحد .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ أو أنها وسيلة مثلى لتشتيت الانتباه .

سأله المدير فى سرعة :

- بأى هدف .

أجابه (أدهم) بنفس السرعة :

- إبعاد أنظارنا عن أهداف أكثر حيوية .

صمت المدير بضع لحظات ، ليدرس هذا الاحتمال ، قبل أن يتساءل :

- أتعتقد أنها بمثل هذه الجرأة الانتحارية ؟!

أجابه (أدهم) بانفعال شديد :

- نعم .

ثم لوّح بيده ، مستطردًا فى حزم :

- ولكن هذه ليست قضيتنا الرئيسية الآن .. أو أنها ليست قضيتى على وجه الدقة .

قال المدير فى دهشة :

- (سونيا جراهام) ليست قضيتك ؟!

عضّ (أدهم) شفته السفلى ، وأشاح بوجهه ، ليخفى انفعاله الجارف ، وهو يقول بنفس الحزم :

- الزملاء لديهم الكفاءة الكافية ، للبحث عنها هنا .. ومن المؤكد أنهم لن يتعاملوا مع الأمر بأية انفعالات ، أو مشاعر شخصية ، كما سأفعل أنا حتمًا .

سأله المدير :

- هل تعتقد هذا حقًّا يا (ن - ١) ؟!

صمت (أدهم) هذه المرة لنصف دقيقة كاملة ، قبل أن يجيب بصوت أشد شحوبًا من وجهه :

- إنها لم تحضر ابنى معها بكل تأكيد .

ثم لوّح بيده ، مضيفًا :

- وحياة فريقى الصغير تعتمد على مواصلتى العمل والتفكير ، بكل الهدوء والتركيز اللازمين .

تطلع إليه المدير طويلاً فى صمت ، وهو يدرك كم يقاسى ويعانى ، ليؤدى واجبه على أكمل وجه ممكن ، قبل أن يسأله فى خفوت :

- هل من أخبار جديدة ؟!

هزّ (أدهم) رأسه نفيًا ، وقال ، وهو يعاود الجلوس :

ـ إنهم داخل قصر (إيفانوفيتش) الآن ، ولا ريب فى أنهم قد خضعوا لكل اختبارات الثقة الممكنة ، وكل ما أرجوه هو أن يتذكروا كل حرف لقنتهم إياه ، فى تلك اللحظات العصيبة .

أومأ المدير برأسه متفهمًا ، وهو يقول فى حزم :

ـ كانت براعة شديدة منك أن تكشف زيف فيلم الاغتيال القصير ، الذى بثه ذلك الروسى الوغد ، على كل شبكاته .

أشار (أدهم) بسبابته ، قائلاً :

ـ التكبير الفائق وضح كيف أن الرصاصات لم تخترق الثياب ، وإنما تفجرت على سطحها فحسب .

سأله المدير فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أنه من الطبيعى أن يدبر رجل مثل (إيفانوفيتش) كل هذه التمثيلية ، للحفاظ على هيبته فحسب ؟!

هز (أدهم) رأسه ، قائلاً :

ـ لم يكن هذا هو السبب الوحيد ، فالروسى كان يختبر ردود الأفعال أيضًا ، فلو أن هؤلاء الثلاثة ينتمون إلى جهة ما ، تسعى لخداعه واختراق صفوفه ، فيثيرهم بشدة أن يلقى فريقهم مصرعه ، وربما يقدمون على أى تصرف عصبى ، يكشف أمر الكل .

وافق المدير بإيماءة رأس أخرى ، وهو يقول :

ـ ترى ما الذى تتوقعه ، كخطوة تالية ؟!

تنهد (أدهم) فى عمق ، وتراجع بمقعده ، قائلاً :

ـ أن يطلب منهم القيام بعمل خطير ، لصالح (المافيا) الروسية .

سأله المدير :

ـ مثل ماذا ؟!

هز (أدهم) كتفيه ، مجيبًا :

ـ أى شىء .

ثم استطرد فى حزم :

ـ ولكننا نفتقد الاتصال معهم تماماً ، فى هذه المرحلة ، وكل ما أمامنا هو أن ننتظر .. ونترقّب .. ونأمل .

غمغم المدير :

ـ نعم .. ليس أمامنا سوى هذا .

ثم اعتدل فى وقفته ، مضيفاً فى حزم :

ـ على أية حال ، وعلى الرغم من عنادك المستفز ، أنا سعيد وأكثر ارتياحاً ؛ لأنك تتولّى المهمة بنفسك .

ابتسم (أدهم) ابتسامة شاحبة ، وهو يقول :

ـ وأنا كذلك فى الواقع .

حاول المدير أن يبتسم بدوره ، إلا أن ابتسامته الباهتة تلاشت قبل أن تولد ، وهو يقول :

ـ على أية حال ، من المؤكّد أنك ستتولّى الأمور كلها وحدك ، خلال الأيام الثلاثة القادمة ، فسأرافق السيّد رئيس الجمهورية ، فى رحلته السياسية السريعة إلى (باريس) ، وأرجو ألا تتجاوز حدود طاقتك ، فى تلك الفترة .

نهض (أدهم) ، متمتماً :

ـ سأحاول .

تصافحا فى مودّة ، والمدير يبتسم ، قائلاً :

ـ ستحاول إقناع طبيبك بأية وسيلة ، بأنه من الأفضل لك أن تكون هنا لا هناك ، و ..

ارتفع رنين الهاتف الخاص بـ (أدهم) فى هذه اللحظة ، فالتقط سماعته فى سرعة ، ووضعها على أذنه ، متسائلاً فى حذر :

ـ من المتحدّث ؟!

أتاه صوت أنثوى ساخر مألوف ، يقول :

ـ كيف حالك يا (أدهم) ؟!

وبكل غضبه و دهشته ، هتف (أدهم) :

ـ (سونيا) ؟!

واتسعت عينا المدير عن آخرهما ..

فالمفاجأة كانت مذهلة ..

إلى أقصى حدود الاحتمال ..

* * *

التقى حاجبا الجنرال السابق (مارك كروجر) فى شدة ، وهو يستمع إلى مخاوف وشكوك (هاتز) ، فى اهتمام شديد ، حتى انتهى هذا الأخير من حديثه العصبى ، فمط الرجل شفتيه بضع لحظات ، ثم قال فى صرامة :

- يبدو أننى أتفق معك فى شكوكك هذه المرة يا هر (هاتز) .

شد (هاتز) قامته ، وهو يقول فى حزم عصبى :

- إننا لن نتسلَّم الصفقة ، عند الحدود المصرية الإسرائيلية ..

سنقوم بالعملية فى (مصر) ، على الرغم من جنونها ، ولكننا لن نجازف بمواجهة سلطات الأمن فى الدولتين ، فى منطقة ملتهبة كهذه .

انعقد حاجبا (كروجر) فى شدة ، فأضاف (هاتز) بحزم أكثر :

- هذا قرارنا النهائى .

قال الجنرال فى صرامة :

- لقد تقاضيتم أجوركم ؛ لتتموا الصفقة حتى آخرها .

قال (هاتز) فى حدة :

- ليس بهذا الأسلوب .

لوَّح (كروجر) بسبابته فى وجهه ، هاتفًا :

- اسمع يا هر (هاتز) ..

قاطعه (هاتز) بصرامة غاضبة :

- اسمع أنت يا جنرال .. ثلاثتنا زعماء كبار لمنظماتنا ، ولولا الأجر الهائل الذى عرضتموه ، لما قبلنا القيام بعمل كهذا قط ، ولكن حتى ولو منحتمونا كل أموال الدنيا ، فلن نتجاوز ما يقتنع به عقلنا أبدًا .. هل تفهم ؟!

ثم مال نحوه بحدة ، مضيفًا بكل الصرامة :

- أبلغ رؤساءك ما قلته لك الآن ، وأخبرهم أن الزعماء لن يبذلوا حياتهم وحريتهم فى سبيل أحد ، لأن كل ذهب الدنيا لا يمكنه إعادة الموتى إلى الحياة .

واعتدل فى غضب ، قائلاً :

ـ لخبرهم هذا فحسب .

تطلع إليه (كروجر) بضع لحظات ، فى غضب مكبوت ، قبل أن ينهض قائلاً :

ـ سأخبرهم .

قالها ، وغادر المكان على الفور ، فغمغم (نيكولاس) متوترًا :

ـ كنت قاسيًا جدًا معه .

قال (هانز) فى غضب :

ـ هل كان ينبغى أن أربّت عليه ؟!

أجابه (شوكت) فى حزم :

ـ كلاّ بالطبع .

ثم استدار إلى (نيكولاس) ، مكملاً :

ـ إنه على حق .. ينبغى أن يدركوا حدودهم .

هزّ (نيكولاس) رأسه ، قائلاً :

ولكنهم يدفعون أضعاف ما ..

قاطعه (هانز) فى صرامة :

ـ لماذا ؟!

بدت الحيرة على وجه اليونانى ، وهو يقول :

ـ لماذا ماذا ؟!

أجابه (هانز) فى حدة :

ـ لماذا يدفعون ثروة طائلة كهذه ، من أجل القيام بعملية إرهابية فى (مصر) ؟! ما الذى سيربحونه من هذا ؟! ثم لماذا لم يحاولوا إتمام الصفقة بأنفسهم ؟! لماذا تعاقدوا معنا لنفعل ؟!

رفع (نيكولاس) سبابته أمام وجهه ، وهو يقول فى سرعة :

ـ هل تعلمان ؟! لقد ألقيت على نفس هذه الأسئلة منذ البداية .

قال (شوكت) فى سخرية :

- حقًا ؟!

ولكن (نيكولاس) أضاف فى حزم :

- ووجدت لها جوابًا منطقيًا للغاية .

سأله (هانز) فى عصبية :

- أى جواب هذا ؟!

هتف (نيكولاس) فى حماس :

- إنهم رجال أعمال .

بدت الدهشة على وجه (شوكت) ، فى حين ردد (هانز) فى حذر مستنكر :

- رجال أعمال ؟!

أجابه بنفس الحماس :

- بالتأكيد .. إنهم رجال يملكون المال ، ويرغبون فى الضغط على (مصر) بوسيلة عنيفة ، ربما تنشيطًا لصفقة ما ، أو لتعاقدات بمليارات الدولارات ، ولكن لا شأن لهم بعالمنا ، بكل قسوته وعنفه ، وصراعاته التى لا تنتهى ، لذا فهم يدفعون لنا بسخاء ، لتتم العملية كلها لحسابهم .

بدا تحليله منطقيًا تمامًا ، حتى إن (هانز) و (شوكت) قد تبادلا نظرة متوترة ، فتابع (نيكولاس) بحماس أكثر :

- ثم إنهم طلبوا منا تولّى أمر العملية كاملة ، بما فيها توفير الأسلحة والذخائر اللازمة ، ونحن الذين قمنا بالاتصال بذلك الروسى .. نحن انتخبناه لتوريد الصفقة ، ونحن رأينا أفضل من يقوم بهذا وليس هم .

مرة أخرى كان منطقه مقنعًا للغاية ، فلاذ الآخران بالصمت لبعض الوقت ، قبل أن يقول (هانز) فى صرامة :

- هذا التفسير يبدو مقنعًا للغاية ، بالنسبة لأصحاب الصفقة الأصليين ، ولكن ليس بالنسبة لـ (إيفانوفيتش) .

قال (نيكولاس) ، محاولاً إقناعه :

- ربما كان عميله إسرائيليًا .

هتف (هانز) :

- ولو .. فى كل الأحوال ، من الخطر نقل شحنة أسلحة كهذه ، عبر (مصر) و (إسرائيل) بالذات .. من الخطر جداً .

لم يكد يتم عبارته ، حتى ارتفع صوت دقات قوية ، على باب جناح (نيكولاس) ، فالتفت إليه (هانز) فى حدة ، وهو ينتزع مسدسه ، فى حين قال (شوكت) فى سخرية عصبية :

- أتعشم ألا يكون زوج تلك الباريسية .

هبَّ (نيكولاس) إلى الباب ، هاتفاً :

- كف عن سخافاتك هذه .

هتف به (هانز) :

- لاتفتح الباب مباشرة .. حاول أن ..

وقبل أن يكتمل هتافه ، كان (نيكولاس) قد فتح الباب بالفعل ، وهو يواجه الطارق بيده المعدنية ، قائلاً :

- من الطارق ؟!

كان يقف أمامه رجل طويل نحيل ، أشقر الشعر ، أزرق العينين ، يبتسم على نحو لا يبعث قط على الارتياح ، وهو يقول :

- معذرة للقدوم فى هذه الساعة ، ولكن لدى أوامر من السيد (إيفانوفيتش) بالاتصال بكم فوراً ، وإبلاغكم رسالة عاجلة جداً .

انعقد حاجبا (هانز) فى حذر ، وهو يقول :

- (إيفانوفيتش) ؟! من (إيفانوفيتش) هذا ؟!

ابتسم النحيل فى سخرية ، وتجاهل ذلك السؤال الحذر تماماً ، وهو يقول :

- الزعيم يبلغكم أنه لا داعى للخوف من موعد ومكان التسليم ، وأنه سيسلمكم الشحنة فى ساحة المعركة نفسها .

وضاقت عيناه ، وهو يضيف بابتسامته المقيتة :

- فى (مصر) .

تفجّرت الدهشة حتى مداها ، فى وجوه الرجال الثلاثة ، وهتف (هانز) فى عصبية :

ـ وكيف علم بأمر مخاوفنا هذه ؟!

ابتسم النحيل أكثر ، وهو يقول :

ـ ألا تدرون ؟! الزعيم يعرف دائمًا كل شىء .

قالها ، وأطلق ضحكة قصيرة مستفزة ، قبل أن ينحنى ، قائلاً :

ـ تحياتى أيها السادة .

ثم انصرف بخطوات واثقة هادئة ، تاركًا زعماء الإرهاب الثلاثة خلفه ، يتلفتون حولهم بكل قلق الدنيا ، وقد أدركوا أن الروسى يراقبهم حتمًا ..

بل ويحصى أنفاسهم أيضًا ..

وبمنتهى الدقة ..

* * *

انكمشت (ريهام) فى ركن زنزانتها ، وهى ترتجف بردًا ، مع الثلوج التى تتسلل إلى المكان ، عبر النافذة

الصغيرة ، المغلقة بقضبان فولاذية ، وقالت فى ألم وإرهاق :

ـ لا يمكننى الاحتمال .. سيقتلنى البرد حتمًا .. هذا الوغد يحاول القضاء علينا بأسلوب سادى بطىء .

دلك (علاء) ذراعيه ، محاولاً بث بعض الدفء فيها ، وهو يقول :

ـ أراهن على أنه يراقبنا الآن ، متلذذًا بما نعانيه .

هتفت فى حنق ، بنفس اللغة الإسبانية ، التى يتحدثان بها :

ـ يا للحقير !

ثم أضافت فى غضب :

ـ أراهن أنه يستخدمنا أيضًا للسيطرة على (جاك) .

قال فى صرامة :

ـ ومن سيمنحه الفرصة لهذا ؟!

سألته فى قلق ، عندما نهض فى حزم صارم :

- ما الذى تفكّر فيه بالضبط ؟!

اتجه نحو باب الزنزانة ، قائلاً بنفس الصرامة :

- فى بعض النشاط ، حتى نبعث فى أجسادنا الدفء على الأقل .

هبّت واقفة ، وهى تقول :

- (جون) .. ماذا ستفعل ؟! إياك والتهوّر .

أطلق ضحكة ساخرة ، قائلاً :

- وما الذى تخشينه بالضبط ؟! إن أسوأ ما يمكن أن نحصل عليه ، هو موت سريع ، أفضل كثيراً من موت الثلوج البطىء .

قالها ، ودقّ باب الزنزانة فى قوة ، وهو يهتف :

- أريد زعيمكم .. أريد مقابلته فوراً .

صاح فيه أحد الحراس الثلاثة المسلحين ، فى غضب ، وبلغة إسبانية ركيكة للغاية :

- اصمت يا هذا ، وإلا ..

أطلق (علاء) ضحكة ساخرة ، وهو يقول :

- وإلا ماذا ؟! هل ستجبرنى على رؤية وجهك القبيح ، أيها القرد ؟!

صاح الرجل فى غضب :

- ماذا تقول أيها الأرجنتينى الوقح ؟!

قال (علاء) فى تحدٍّ :

- أقول : إنك مجرّد قطعة لحم نتنة ، ووجهك أقلّ احمراراً من مؤخرتك .

احتقن وجه الحارس فى غضب ، وصاح ، وهو يندفع نحو الزنزانة :

- أيها الحقير .

ثم فتح الباب ، وهو يشهر مدفعه الآلى ، و ...

وقبل أن يندفع داخل المكان ، كان (علاء) ينقضّ عليه كالصاعقة ، وهو يهتف :

- أخطأت أيها القرد .



وقبل أن يندفع داخل المكان ، كان (علاء) ينقض عليه كالصاعقة ، وهو يهتف : ـ أخطأت أيها الفرد ..

وكال له لكمة كالقنبلة ، متابعًا :

ـ ما كان ينبغى أن تفقد أعصابك أبدًا .

ارتفعت فوهتا مدفعى الحارسين الآخرين نحوه ، وهما يتراجعان فى سرعة ، ولكن (ريهلم) وثبت إلى الأمام ، واختطفت المدفع الآلى ، للحارس الذى أسقطه (علاء) ، ثم انبطحت أرضًا ، وأطلقت النار ، وهى تهتف :

ـ أخشى أننا نحن من فقدوا عقولهم .

أصابت رصاصاتها أحد الحارسين فى ذراعه ، والثانى فى فخذه ، فى نفس اللحظة التى قفز فيها (علاء) إلى الأمام ، صائحًا :

ـ لماذا أطلقت النار أيتها التعسة ؟!

وقفز إلى أعلى ، وهو يدور حول نفسه ، ويركل أحد الحارسين فى وجهه ، ركلة كالمطرقة ، ثم لكم الآخر فى معدته بكل قوته ، متابعًا :

ـ هذا سيوقظ القصر كله .

وتبع لكمته بأخرى ، هشمت أنف الرجل ، وألقته ثلاثة أمتار إلى الخلف ، ليسقط على ظهره كالحجر ..

وبسرعة ، اختطف (علاء) مدفعًا آليًا آخر ، وهو يهتف :

ـ لو أن زعيمهم يراقبنا الآن ، فهذا يعنى أننا قد انتهينا بالفعل .

انعقد حاجبا (إيفانوفيتش) ، عندما نقلت إليه أجهزة المراقبة العبارة ، فى حين هتف (شريف) فى هلع :

ـ لقد جنّا حتمًا .. لماذا فعلا هذا ؟!

أشار إليه (إيفانوفيتش) بالصمت فى صرامة ، وهو يقول :

ـ واصل عملك .

قال (شريف) فى عصبية :

ـ إنهما شقيقاى .

رفع (إيفانوفيتش) حاجبيه وخفضهما ، وهو يقول فى هدوء :

ـ إنهما بارعان .

قالت (ميرا) فى برود :

ـ لو أننى فى موضعك ؛ لأمرت بقتلهما فورًا ، وبلا رحمة .

قال فى سخرية صارمة :

ـ من حسن حظهما أنك لست فى موضعى .

ثم انعقد حاجباه فى شدة ، وهو يضيف :

ـ أريد أن أعرف ، إلى أى مدى سيذهبان .

ورفع يده ، ليدير أصابعه فى الهواء ، متابعًا بلهجة أقرب إلى التفكير العميق :

ـ هذا سيحدّد الكثير من الأمور .

فى نفس اللحظة ، التى نطق فيها عبارته ، كانت (ريهام) تندفع مع (علاء) خارج القبو ، وهى تحمل مدفعها الآلى ، وعشرات الأفكار تدور فى ذهنها ..

كم تتمنى لو استخدمت موهبتها الآن ، لتصنع قنبلة قوية ، تطيح بجدران ذلك المكان الضخم ..

إنها قادرة على صنع عشرات القنابل ، من مواد منزلية عادية ..

المطاط ..

قطع الزجاج ..

الجلسرين ..

وحتى المسامير الصغيرة ..

ولكن العميد (أدهم) حذّرها بشدة من فعل هذا ، قبل أن تحين اللحظة المناسبة ..

لا ينبغى أن يعلم أحد أبدًا أنها قادرة على هذا ..

لا ينبغى أن تكشف موهبتها قبل الأوان ..

وهى تثق تمامًا بكل ما يقوله العميد (أدهم) ..

تثق به ثقتها فى أنفاسها نفسها..

ولقد تضاعف انبهارها به ألف مرة ، عندما خاضت هذه العملية بالفعل ..

تنبؤاته واستنتاجاته واستنباطاته كانت مذهلة بحق ..

كان وكأنه يرى من خلال عينى (إيفانوفيتش) ، ويفكر بعقله ، ويتنفس بأنفاسه ..

لقد درس طبيعة الرجل جيدًا ، حتى أدرك كل ردود أفعاله ، وتفاعلاته مع الأمور ..

حتى ذلك القتال المحدود ، الذى يخوضانه ، تنبأ العميد (أدهم) بحدوثه ..

ليس بنفس الوسيلة التى نشأ بها ..

ولكنه توقّعه ..

توقّع أن يحاول الروسى السيطرة عليهما ، لإجبار (شريف) على تنفيذ أوامره ..

وطلب منهما عندئذ أن يقاتلا ..

ولكن بشرط واحد ..

ألا يسقط قتلى ..

سقوط قتيل واحد سيدفع (إيفانوفيتش) للقضاء عليهما بلا رحمة ..

هذه هى شريعة (المافيا) الروسية ..

وقانونها الصارم ..

لذا فما إن لاح فريق الحراس ، الذى انقض عليهما ، حتى هتفت بزميلها :

- السيقان .. اطلق على السيقان .

كان الجليد يتساقط ، ويكسو الحديقة كلها بطبقة بيضاء سميكة ، وأكثر من عشرة رجال يندفعون نحوهما ، فى ثياب الحراسة الخاصة السوداء ، وهم يحملون مدافعهم الآلية القوية ، ويخفون وجوههم بخوذات داكنة مخيفة ..

ولم يتردد (علاء) لحظة واحدة ..

لقد أطلق النار بالفعل ..

على السيقان ..

وأصابت الرصاصات هدفها بدقة ..

ولكن الرجال لم يسقطوا ..

الرصاصات أصابتهم ، وارتدت عن ثيابهم الخاصة ، المصنوعة من نسيج مضاد للرصاصات ..

وعلى الرغم من أن هذا يتجاوز الخطة ، رفع (علاء) فوهة مدفعه ، وأطلق النار مرة أخرى .. على الخوذات ..

وكانت ظنونه فى محلها ..

(إيفانوفيتش) هذا شيطان حقيقى ..

لقد صنع طاقم حراسة لا يقهر ..

طاقم حراسة مضاد للرصاصات ..

الثياب .. والخوذات ..

وهذه مفاجأة حقيقية ..

مفاجأة عنيفة

ومرة أخرى ، عضت (ريهام) شفتيها فى مرارة ..

لو أن معها قنبلة من قنابلها الآن ، لاختلفت الأمور كثيرًا ..

وفى سرعة ومهارة ، التف طاقم الحراسة الخارق حولهما ، فهتفت هى :

- لقد وقعنا .

وفى لحظة واحدة ، ارتفعت كل فوهات المدافع الآلية نحوهما ..

وابتسم الموت ..

فى ظفر .

* * *



٦ - الغضب ..

تفجّر غضب هائل فى أعماق (أدهم صبرى) ، حتى كادت أصابعه تحطّم سمّاعة الهاتف ، وهو يقول فى صرامة :

- كيف حصلت على هذا الرقم يا (سونيا) ؟!

أطلقت الأفعى ضحكة عابثة ، وقالت :

- سيدهشك مقدار ما لديّ من معلومات عنك يا زوجى العزيز .. سابقًا بالطبع .

انعقد حاجبا مدير المخابرات ، وأسرع يخرج هاتفه المحمول ، ويطلب رقمًا قصيرًا ، ثم يقول بصوت خافت ولهجة آمرة :

- العميد (أدهم صبرى) تلقّى مكالمة ، على هاتفه الخاص .. تعقّب مصدرها فورًا ، وأبلغنى بالنتائج ، فور توصلك إليها .

فى نفس اللحظة ، كان (أدهم) يسأل (سونيا) :

ـ من أين تتحدثين ؟!

أطلقت ضحكة أخرى ، قبل أن تقول :

ـ ولماذا التعجل يا عزيزى .. ألن يتعقب رجالكم المحادثة ؟!

سألها فى صرامة :

ـ ما سر قدومك إلى هنا يا (سونيا) ؟!

أجابته ساخرة :

ـ ربما لأننى اشتقت إليك كثيرًا .

تجاهل سخريتها ، وهو يسأل بصرامة :

ـ أين ابنى ؟!

قالت بنفس السخرية :

ـ تقصد ابننا .. اطمئن يا عزيزى (أدهم) .. ابننا بخير ، ويتلقى أفضل تعليم ممكن ، وسينمو ليصبح يهوديًا مخلصًا فى المستقبل .

ثم قسا صوتها قليلاً ، وهى تضيف :

ـ أتعلم لماذا أصنع به هذا ؟!

قال فى غضب :

ـ فتماءاتك الصهيونية لا تحتاج إلى تفسير يا (سونيا)(*)

هتفت :

ـ انتماءات ماذا ؟!

ثم أطلقت ضحكة ساخرة قوية ، مضيفة :

ـ يا لك من واهم ؟! هل تصورت أن قضية الوطن القومى ، وأرض الميعاد ، وكل هذه السخافات ، التى تتعيش منها المنظمات الصهيونية ، قد شغلت ذهنى لحظة واحدة من حياتى ؟! هراء يا عزيزى ..

(*) الصهيونية : حركة سياسية ، دعت لقيام دولة لليهود ، مؤسسها (تيودور هرتزل) عام ١٨٩٧ م ، وتم عقد أول مؤتمر لها فى (بازل) (سويسرا) ، وفيه تقرر إنشاء عدة منظمات صهيونية فى العالم ، والسعى لجعل (فلسطين) وطنًا لليهود .

إننى أصنع من ابنك يهوديًا متعصبًا لسبب آخر تمامًا .

وعاد صوتها يكتسب رنة وحشية ، وهى تتابع :

ـ لقد فعلت كل هذا ، وأحرص عليه ، لأنه يحقق لى أمرًا ، عجزت كل الوسائل الأخرى عن تحقيقه .

سأل فى حذر صارم :

ـ أى أمر هذا يا (سونيا) ؟!

أجابته ، بلهجة حملت كل مقت الدنيا :

ـ إذلالك يا (أدهم) .

انعقد حاجباه فى شدة ، فى حين تابعت هى بنفس اللهجة :

ـ لن يمكنك أن تتصور كم يروق لى أن أشعر بعذابك ، وأنت تجهل أين هو ، وتعلم فى الوقت ذاته أننى أعمل على تنشئته ، بحيث يصبح صورة عكسية تمامًا منك ، باستثناء أننى سأمنحه نفس الفرصة ، التى حصلت أنت عليها .. فرصته أن يبدأ تدريباته فى حداثته ، ليصبح فلتة فى عالمه .

وتضاعف المقت فى صوتها ، وهى تضيف :

ـ عالم المخابرات الإسرائيلية .

هتف :

ـ سأقتلك لقاء هذا يا (سونيا) .

تلاشى مقتها بغتة ، وانطلقت من حلقها ضحكة عابثة قوية ، وهى تقول :

ـ اظفر بى أولاً يا عزيزى ..

ثم تابعت فى تحدٍّ :

ـ وبالمناسبة .. رجالكم سيكشفون ، بعد طول عناء ، أننى أتحدث عبر أحد هواتف الأقمار الصناعية ، التى يستحيل تحديد مصدرها بدقة ، بأية أجهزة تكنولوجية حديثة ..

وضحكت مرة أخرى ، متابعة :

ـ هذه الأشياء الصغيرة تكلف الكثير ، ولكنها تقدم ـ فى المقابل ـ فوائد جمة .. أليس كذلك ؟!

تصاعدت ضحكاتها ، وهى تنهى المحادثة ، فى نفس اللحظة التى اندفع فيها أحد الرجال إلى الداخل ، هاتفاً :

ـ إنها تتحدث من هاتف أقمار صناعية .

قال (أدهم) فى صرامة :

ـ أعلم هذا .

قال المدير فى حزم :

ـ تلك الأفعى اللعينة تعبث بنا .

قال (أدهم) ، فى غضب واضح :

ـ بل هى تسعى لتشتيت انتباهنا عن الهدف الأساسى .

هزّ المدير رأسه ، وهو يغمغم :

ـ الأمر ليس سهلاً أبداً هذه المرة .. من الواضح أنهم يديرون اللعبة بحنكة وبراعة شديدين ، وأن الهدف ـ كما يبدو ـ أضخم مما كنا نتصور .

شدّ (أدهم) قامته ، قائلاً فى حزم :

ـ ونحن لها ..

ثم انعقد حاجباه فى صرامة وعزم ، مع إضافته :

ـ لن يبلغوا هدفهم أبداً بإذن الله ، وفى أجسادنا عرق ينبض .

مع آخر حروف كلماته ، دق أحدهم باب مكتبه ، ثم دلف إليه ، قائلاً :

ـ أخبار عاجلة من (روسيا) يا سيادة العميد .

هتف (أدهم) فى لهفة :

ـ حقاً ؟!

ألقى المدير نظرة على ساعته ، وقال فى حزم :

ـ فليكن يا (ن ـ ١) .. أنا مضطر للانصراف الآن ، حتى يمكننى اللحاق بطائرة السيد الرئيس .. أبلغنى التطورات أولاً فأول .

قال (أدهم) ، وهو يلتقط الورقة ، التى يحملها الوافد الجديد فى لهفة :

- بالتأكيد يا سيدى .. بالتأكيد .

اتجه المدير إلى الباب ، وهو يقول :

- وحاول ألا تجهد نفسك كثيراً .. هذا أمر .

حاول (أدهم) أن يبتسم ، ولكن كل ذرة فى كيانه كانت تتلهف لمعرفة تلك الأخبار الجديدة ..

أخبار فريقه هناك ..

فى الجليد الروسى ..

وبسرعة ، التهمت عيناه كلمات الرسالة القليلة ..

المراقبون لمحوا ما يوحى باندلاع قتال محدود ، داخل قصر (إيفانوفيتش) ..

ولكن دون تأكيد تام ..

صحيح أن المراقبين يستخدمون أقوى مناظير ووسائل المراقبة ، ولكن قصر زعيم (المافيا) الروسى يقع داخل ما يقرب من ألف فدان ، من الحدائق والملاعب وأحواض السباحة ..

لذا فقد لمحوا بعض الوميض فحسب ..

وقدّروا أنه قتال محدود ..

وانعقد حاجبا (أدهم) ، وهو يفكّر فى عمق ..

تُرى هل نجحت خطته ، حتى هذه المرحلة ؟!

هل أقحم (إيفانوفيتش) للفريق ، فى مواجهة محدودة ومدروسة ؟!

هل ؟!

ولو أنه فعل هذا ، فماذا يمكن أن تكون الخطوة التالية ؟!

ما الذى يمكن أن يدفع (شريف) لعمله ؟!

راح يدير الأفكار والتساؤلات فى رأسه ويقلّب الأمر على كل الوجوه ، فى استغراق تام ، حتى إن عقله المدرّب الخبير قد نجح ، فى أن يطرح عن ذهنه أمر (سونيا) ، وكل ما يتعلّق بها ..

وأن يصغى كله لأمر واحد ..

دراسة موقف فريقه هناك ..

فى عرين الذئب المفترسة ..

ذئب (المافيا) الروسية ..

ولو أن أحدا رآه ، فى تلك اللحظة ، وهو يسبل جفنيه ، ويترك جسده يسترخى فى مقعده ، لتصوّر أنه أمام رجل خالى الذهن ، لا يحمل أية هموم فى الدنيا ، ولن يتصوّر أبدًا أنها وسيلة للتركيز أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

كان من الضرورى أن يطرح عن ذهنه كل التوترات والانفعالات ، حتى يمكنه تحديد الموقف الصحيح ..

والقرار المناسب ..

ماذا سيفعل ، لو أنه فى موضع (إيفانوفيتش) ، بعد أن يخوض (علاء) و(ريهام) حربهم المحدودة ؟!

هل سيقتلهما ؛ انتقامًا مما فعلاه ، أم سيبقى عليهما للإفادة من مهارتهما ؟!

أى قرار يمكن أن يتخذه عقل شيطانى كهذا ؟!

أى قرار ؟!

غرق فى التفكير العميق لعشر دقائق كاملة ، طرح فيها عقله عليه السؤال ألف مرة ، وراح يدرس الأمور مرة ..

ومرة ..

ومرات ..

ثم أخيرًا ، ودون أن يفتح عينيه ، أو يعتدل فى مجلسه ، تمتم :

ـ لن يقتلهما .

نطقها بكل الارتياح ..

وكل الثقة ..

* * *

« إشارة واحدة من سبابتى ، وكلتما ستلقيان مصرعكما ، بأبشع وسيلة ممكنة .. »

نطق (إيفانوفيتش) بالعبارة فى صرامة شديدة ، وهو ينهض من مقعده الذهبى الضخم ، ويتجه نحو (علاء) و(ريهام) مباشرة ، فقال الأول فى توتر :

- ولماذا لم تفعل ؟! من المؤكد أن هذا كان أكثر رحمة ، من تركنا نموت بردًا ، فى ذلك القبو الحقير .

قال (إيفانوفيتش) فى قسوة :

- ومن يبحث عن الرحمة ؟!

قالت (ريهام) فى عصبية :

- سيد (إيفانوفيتش) .. لقد عرضنا أن نكون رهن إشارتك ، وأنت اختبرتنا بكل الوسائل الممكنة ، ثم ألقيتنا بعدها وسط الثلوج ، فماذا كنت تنتظر منا ؟!

أن نموت خاضعين أذلاء ؟!

تألقت عيناه ، وهو يقول :

- لو فعلتم لكان هذا أكبر فشل أواجهه ، فى حياتى كلها .. إننى لا أخطئ فهم البشر أبدًا .

وأشار إليهما ، مضيفًا فى صرامة :

- كنت واثقًا من أنكما ستقاتلان كالوحوش ، على الرغم من كل شىء .

ثم أشار إلى صدره ، مستطردًا فى شىء من الزهو :

- لقد راهنت نفسى على هذا .

حاول (شريف) أن يتدخل ، قائلاً :

- سيد (إيفانوفيتش) .. إننى ..

قاطعه الروسى بصرامة شرسة :

- واصل عملك .

ثم استدار بوجهه كله يواجهه ، متابعًا :

- وسأمنحك حافزًا قويًا جدًا للنجاح .

وحملت عيناه نظرة وحشية جذلة ، شأن قط يستمتع بعبثه مع فأر ، قبل أن يفترسه ، وهو يضيف :

ـ سأمهلك ساعة واحدة ، للعثور على أحد المواقع ، التى تستخدمها المخابرات العامة المصرية ، على شبكة الإنترنت ، واختراقه .. ستين دقيقة كاملة ، ستعمل فيها بمنتهى الحرية ، ثم ..

برقت عيناه هذه المرة بشراسة ذئب مفترس ، وهو يكمل :

ـ ثم أطلق النار على رأسى شقيقيك أمام عينيك ، وعلى رأسك بعدهما ..

ثم صرخ بكل قوته :

ـ (ميرا) .

تألقت عينا جبل الجليد ببريقهما ، وهى تقول ببرودها المخيف :

ـ أوامرك يا سيد (إيفانوفيتش) .

وبإشارة منها ، رفع رجال الحراسة الخارقون مدافعهم الآلية ، وصوبوها إلى رأسى (علاء) و (ريهام) ، فى حين صوبت هى مسدسها إلى رأس (شريف) ، قائلة :

ـ هيا .

وازدرد (شريف) لعابه ، فى صعوبة بالغة .. مرة أخرى يتعلق مصير الكل به ..

بمهارته ..

وبراعته ..

وذكائه ..

و (ميرا) تراقبه طوال الوقت بعينى صقر ، وعقل خبيرة كمبيوتر محنكة ..

عقل لا يمكن خداعه بسهولة ..

أو حتى بصعوبة ..

مشكلته الحقيقية أنه يعرف بالفعل معظم المواقع ، المطلوب منه البحث عنها واختراقها .. ويعرف أيضًا مدى خطورة كشف أمرها ..

ولكن مصير الكل متوقف على هذه الخطوة الرهيبة ..

على نجاحه فيها ..

ويا له من نجاح !

إنه نجاح يحمل فى مضمونه الفشل ..

كل الفشل ..

إن أحداً لم يتصور قط أن يكون هذا هو مطلب (إيفانوفيتش) ..

حتى العميد (أدهم) نفسه ..

ولقد صار الموقف بالغ الخطورة بالفعل ..

وعليه أن يستفز كل قطرة من ذكائه وبراعته ، للخروج من ذلك المأزق ..

ولكن كيف ؟!

كيف ؟!

كيف ؟!

* * *

« توجد محاولة لاختراق شبكة اتصالاتنا يا سيادة العميد .. »

لم يكد (أدهم) يسمع العبارة ، حتى هبَّ من مقعده ، هاتفاً :

ـ كيف ؟!

أشار الرجل إلى الكمبيوتر على مكتب (أدهم) ، قائلاً :

ـ يمكنك أن تتابع هذا بنفسك يا سيادة العميد .

ضغط (أدهم) أزرار الكمبيوتر ، ثم انعقد حاجباه ، وهو يتابع الموقف فى اهتمام ، قبل أن يقول :

ـ أريد أفضل خبير اتصالات لدينا ، فوراً .

لم تمض دقيقة واحدة ، حتى كان خبير الاتصالات فى مكتبه ، فسأله باهتمام ، وهو يشير إلى الشاشة :

ـ ما الذى يحدث بالضبط ؟!

أجابه الرجل بنفس الاهتمام :

- إننى أتابع هذا ، منذ ما يقرب من نصف الساعة يا سيادة العميد .. فى البداية ، كان بعضهم يبحر عبر الشبكة ، بحثًا عن كل المواقع المؤمنة ، التى تخضع لأكثر من أربعة أنظمة أمن مختلفة ، وهذا يعنى أنه خبير فى هذا المضمار ، ويدرك طبيعة هدفه جيدًا .. ولقد تركناه يبحر دون أى تدخل منا ، طبقًا للأوامر المعتادة ، ونحن نراقب تحركاته بمنتهى الحذر ، حتى بدأ عملية الاستبعاد المدروس .

سأله (أدهم) :

- وما هى ؟!

أجابه الرجل ، وهو يشرح الأمر بحركات عامة من كفيه :

- لقد راح يستبعد كل المواقع ، الخاصة بالبنوك الكبرى ، والشركات العقارية الشهيرة ، والمؤسسات التجارية والاقتصادية العملاقة ، وتلك ذات الامتدادات غير المحدودة ، حتى تبقت لديه قائمة محدودة ، تحوى

ما لا يزيد على مائتى موقع ، من بين ملايين المواقع ، على الشبكة كلها .

غمغم (أدهم) :

- هو بارع إذن .

أومأ الرجل برأسه إيجابًا ، وقال :

- أبرع مما تتصور يا سيادة العميد ، والدليل على هذا ما فعله فى الخطوة التالية .. لقد كانت حركة عبقرية بحق .

سأله (أدهم) بكل اهتمامه :

- وماذا فعل ؟!

أجابه الرجل فى إعجاب ، لم يستطع إخفاءه :

- لقد بدأ فى تقسيم تلك القائمة المحدودة إلى مجموعات ، طبقًا لحصر العناوين البريدية ، التى تتصل بها طوال الوقت ، بوساطة برنامج متقدم جدًا للقرصنة على الاتصالات ، مما صنع أمامه اثنتين وعشرين مجموعة منفصلة ، تنتمى كل منها إلى فئة واحدة .

سأله (أدهم) :

ثم ؟!

أجاب فى سرعة :

ـ إنه ينتقى الآن المجموعة المناسبة منها ، والتى تتلقى اتصالات أكثر من مواقع مصرية ، أو تنتمى لجهات مصرية .

غمغم (أدهم)

ـ هذا يثبت أنه بارع للغاية بالفعل .

ثم أضاف فى حزم :

ـ ولننا نحتاج إلى تغيير أسلوبنا ، فى المرة القادمة .

هزّ الرجل رأسه ، قائلاً :

ـ إننا نحمى مواقعنا دومًا يا سيادة العميد ، ونضمن لها أفضل تأمين ممكن ، والدليل على هذا أننا كشفنا أمره ، ولكن ما يدهشنى بحق ، هو أنه استطاع تحديد مجموعتنا بالفعل ، منذ ما يقرب من عشر دقائق كاملة ،

دون أن يقدم على أية خطوة جديدة ، ودون أن يتوقف عن الدوران حولها ، أو يبتعد عنها .

انعقد حاجبا (أدهم) فى شدة ، وهو يسأل فى اهتمام بالغ :

ـ هل تعنى أنه يخشى محاولة اختراق مواقعنا ، أم أنه يتجنب اختراقها ؟!

هزّ الرجل كتفيه ، مجيبًا :

ـ مع براعة كهذه ، أشك فى أنه يخشى المحاولة .

ازداد انعقاد حاجبى (أدهم) مع الجواب ، وتمتم :

ـ رباه ! أمن الممكن أن ..

لم يتمّ عبارته ، وهو يدرس الأمر فى ذهنه ..

بل يقتله فحصًا وتمحيصًا ..

فالقرار كان بالغ الخطورة إلى حد كبير ..

بل إلى حد مخيف ..

وبكل اهتمامه ، سأل الرجل :

- قل لى : أكل مواقعنا بالغة الخطورة ؟! ألا يوجد موقع هادئ ، يمكن اختراقه بأقل خسائر ممكنة ؟!

أجابه الرجل فى دهشة :

- لدينا موقعان كهذا بالفعل ، ولقد أحاطهما المصمم بنظم أمن أكثر تعقيدًا ، كفخ لكل من يحاول التسلل إلى مجموعتنا ، بحيث يتصور أنها تحوى المعلومات الأكثر خطورة ، فى حين أن كل ما تحويه مجرد مجموعة من المعلومات المفبركة ، والاتصالات الزائفة ، التى تستخدم شفرات غير مفهومة فى المعتاد .

قال (أدهم) فى حزم :

- فى هذه الحالة ، سنواصل المراقبة لبعض الوقت . فلو حاول ذلك المتسلل اختراق أحد المواقع الصحيحة ، سنهاجمه فورًا بفيروس حديث مدمر ، أما لو اتجه نحو أحد الموقعين الآخرين ، فسنتركه يفعل ما يريد ، وكأننا لا نشعر بوجوده .

أدهش هذا القول الرجل تمامًا ، إلا أن طبيعة عمله

فى جهاز المخابرات ، جعلته يعتاد تنفيذ الأوامر دون أسئلة أو مناقشة ..

أما (أدهم) ، فقد واصل مراقبة ما يحدث ، وهو يعيد دراسة الأمر أكثر ..

وأكثر ..

وأكثر ..

ثم فجأة ، اعتدل فى مقعده ، وسأل خبير الاتصالات :

- هل يمكنك بث شفرة الاتصال ، إلى ذلك المتسلل ، دون أن يبدو هذا واضحًا للآخرين ؟!

ارتفع حاجبا الرجل بدهشة عارمة ، وهو يجيب :

- بالتأكيد ، ولكنها شفرة خاصة جدًا ، ونحن نستخدمها مع عملائنا فى كل أنحاء العالم ، للتعريف الأولى فحسب .

غمغم (أدهم) :

- أعلم هذا .

ثم أشار بيده فى حزم صارم ، وهو يضيف :

- أرسلها فورًا إليه ، فقد تتوقف حياة فريق كامل على هذه الخطوة .

نهض الخبير ، قائلاً :

- كما تأمر يا سيادة العميد .

قالها ، وانطلق لتنفيذ الأمر فورًا ، فى حين عاد (أدهم) يلتهم شاشة الكمبيوتر ببصره ، وهو يتساءل فى أعماقه : تُرى هل اتخذ القرار الصحيح فى هذا الشأن ؟!

راح يعيد دراسة الموقف كله ، قبل أن يستقر عقله على أمر حاسم ..

بث شفرة التعريف الخاصة ، سيكفى لتحديد موقف المتسلل ..

وربما لنجاح تلك الجزء البالغ الأهمية والخطورة من الخطة ..

المشكلة الحقيقية أن يكون هناك خبير كمبيوتر أو اتصالات آخر ، يراقب الموقف فى نفس اللحظة ..

هذا وحده يكفى لتحويل المحاولة كلها إلى كارثة ..

كارثة دموية ..

وبلا حدود .

* * *



٧ـ روسيا الحمراء ..

« ماذا تنتظر ؟!

نطقت (ميرا) سؤالها فى برود شديد ، وهى تراقب الشاشة ، التى يعمل عليها (شريف) ، فهزَّ الأخير رأسه ، وقال فى توتر :

ـ الأمر ليس هينًا .

قالت بنفس البرود ، الذى يحمل رنة صارمة :

ـ لقد بلغت الموقع المنشود بالفعل ، فلماذا تدور حوله ، بدلاً من اختراقه على الفور ؟!

مال (إيفانوفيتش) إلى الأمام ، واعتمد بذقنه على قبضته ، وهو يتابع حديثهما فى اهتمام شديد ، و (شريف) يجيب :

ـ تلك المواقع يتم تأمينها جيدًا ، وأية خطوة خاطئة ستعنى الفشل التام ، أو كشف أمرنا على الأقل .

ألقت نظرة على ساعتها ، وهى تقول :

ـ لم يعد أمامك سوى دقائق عشر فحسب .

فى نفس اللحظة ، التى ابتعدت فيها عيناها عن الشاشة ، تألقت عيناه هو ببريق ملؤه اللهفة والظفر ..

وبسرعة كبيرة ، تحركت يده بالفأرة ، لتخفى تلك الشفرة الثلاثية القصيرة ، التى استقبلتها شاشته ..

وعندما أعادت هى عينيها إلى الشاشة ، كان كل شىء طبيعيًا ..

حتى ملامحه ..

ولكن أعماقه كانت تسبح فى بحر كامل من الارتياح ..

لقد نجحت لعبته ..

ونجح الرجال فى (القاهرة) فى فهم الأمر واستيعابه ..

لا شك فى أنه العميد (أدهم) ..

إنه واثق من هذا ..

واثق تمام الثقة ..

وبأصابع بعثت فيها الثقة براعة ونشاطاً مدهشين ، راح يتعامل مع نظم الأمن ، الخاصة بأحد الموقعين الخداعين ، اللذين صممهما بنفسه ..

وباهتمام ، لم ينجح البرود في إخفائه ، سألته (ميرا) :

ـ لماذا هذا الموقع بالذات ؟!

أجابها في حزم هادئ :

ـ ألم تنتبهي إلى تكثيف نظم الأمن حوله ؟! هذا دليل على أهميته وخطورته لديهم .

قالت في صرامة :

ـ وماذا لو أنهم قد فعلوا هذا للخداع فحسب ؟!

ابتسم ، قائلاً :

ـ هل تتصورين أنهم بهذه البراعة ؟!

أجابه (إيفانوفيتش) في خشونة :



وباهتمام ، لم ينجح البرود في إخفائه ، سألته (ميرا) :
ـ لماذا هذا الموقع بالذات ؟!

ـ المصريون ليسوا أغبياء .

قال (شريف) فى سرعة :

ـ وليسوا عباقرة أيضًا .

مطّ (إيفانوفيتش) شفتيه ، وهو يقول بنفس الخشونة :

ـ هذا ما تحاولون إقناع أنفسكم به أيها اليهود .

قالت (ريهام) فى غلظة :

ـ هذه هى الحقيقة .

استدار إليها الروسى ، قائلاً فى سخرية :

ـ حقًا ؟! لماذا هزموكم إذن ، فى آخر حروبهم معكم ؟!

هتفت فى حنق :

ـ ومن قال إنهم هزمونا(★) .

أجابها ساخرًا :

(★) فى كل المراجع والقواميس والموسوعات الأجنبية ، الصادر عن دور نشر يهودية ، يدّعى الإسرائيليون أنهم قد انتصروا على العرب ، فى حرب السادس من أكتوبر ١٩٧٣ ، والمؤسف أن العديدين فى الغرب يصدقون هذه الأكذوبة السخيفة ، بسبب عدم اهتمامنا بالدعايات الخارجية .

ـ الحقائق التاريخية ، وخريطة ما بعد الحرب ، واضطراركم بعدها لعقد الصلح معهم ، ومؤلفات مؤرخيكم العسكريين أيضًا .

هزّت رأسها ، قائلة :

ـ أنا يهودية ، ولست إسرائيلية .

انفرجت شفتاه ، ليقول شيئًا ما ، لولا أن هتف (شريف) فى تلك اللحظة ، فى ارتياح شديد :

ـ لقد فعلتها .

استدار إليه (إيفانوفيتش) بحركة حادة ، وانعقد حاجباه الكثان فى شدة ، وهو يسأل (ميرا) :

ـ ما رأيك ؟!

صمتت الروسية الحسناء الباردة لدقيقة كاملة ، وهى تتطلّع إلى شاشة الكمبيوتر ، قبل أن تقول ، فى حزم بارد كالثلج :

ـ إنه عبقرى .

وفى هذه المرة ، لم تحاول (ريهام) كتمان تلك التنهيدة ، التى انطلقت حارة من بين شفتيها ، ولا ابتسامة الارتياح ، التى انحفرت بوضوح على شفتيها ..

فقول (ميرا) هذا كان يصنع فارقًا كبيرًا ..

كبيرًا جدًا ..

* * *

فرك (أدهم) عينيه فى إرهاق واضح ، وهو يرتشف قدح الشاى الساخن ، ويتطلع عبر نافذة حجرة مكتبه إلى السماء ، التى اصطبغت بأضواء الشروق الجميلة ، وخبير الاتصالات يشير بيده قائلاً :

ـ لقد قضى ساعة كاملة فى موقعنا ، دون أى تدخل منا ، كما أمرت تمامًا يا سيادة العميد :

تمتم (أدهم) ، بصوت لا يقل إرهاقًا عن ملامحه :

ـ عظيم .

ثم سأله فى اهتمام :

ـ وماذا عن ذلك الأمر الآخر ؟! هل أمكنكم تحديد موقع الهاتف ؟!

هزّ الرجل رأسه نفيًا ، وهو يجيب :

ـ تلك الطراز من هواتف الأقمار الصناعية حديث للغاية ، ومعد بحيث يمكن استخدامه ، من أية بقعة فى العالم ، مع حماية خاصة ، تؤمن عدم تحديد موقعه أبدًا .

قال فى توتر :

ـ كل تكنولوجيا لها تكنولوجيا مضادة .

قال الرجل :

ـ هذا صحيح ، ولكن هذه التكنولوجيا حديثة للغاية ، ولم تظهر التكنولوجيا المضادة لها بعد .

مطّ شفتيه ، وتنهد مغمغمًا :

ـ يا للخسارة !

ثم أشار بيده إلى الرجل ، متابعًا :

ـ واصل مراقبة شبكتنا ومواقعنا يا رجل ، وسجل ما يحدث لحظة فلحظة ، وأرسل لى مندوبنا فى وزارة الداخلية فورًا .

قال الرجل فى قلق :

ـ أظنه لم يصل يا سيادة العميد .

أشار (أدهم) بيده ، قائلاً :

ـ ليقظه من نومه لو اقتضى الأمر ، فهناك أمور أرغب فى معرفتها بشدة ، حتى يمكننى اتخاذ قرارات حاسمة ، ولست أظننى أستطيع البقاء مستيقظًا ، حتى موعد وصوله الفعلى .. هيا يا رجل .. أنت لا تتصوَّر كم أعانى ، لأحافظ على عينىَّ مفتوحتين .. هيا ..

كان شحوب وجهه الشديد ينطق بما يعانيه بالفعل ، فقال الرجل فى إشفاق ، وهو يسرع لتنفيذ الأمر :

ـ بالتأكيد يا سيادة العميد .. بالتأكيد .

استرخى (أدهم) فى مقعده ، وأسبل جفنيه فى تهالك ، وهو يمسك قدح الشاى الساخن ، ليبثَّ فى كفيه شيئًا من الدفء ..

لقد انخفضت درجات الحرارة فى (القاهرة) ، وهذا يعنى أن الجليد سينهمر فى (موسكو) ، ودرجات البرودة ستبلغ حدًا لا يطاق ..

لقد خبر هذا بنفسه ، وشعر بمتاعبه وآلامه جيدًا ..

ثلوج (موسكو) ..

الهبوط إلى ما تحت الصفر بعشرات الدرجات المئوية ..

نفس الثلوج التى هزمت من قبل (نابليون بونابرت) و(أدولف هتلر) ، ودحرت الجيشين ، الفرنسى والألمانى ، فى أخطر حقبتين من حقب التاريخ ..

هذا ما يواجهه فريقه هناك ..

ويا لها من مواجهة ..

كم تمنى لو يلحق بهم ، ويقاتل إلى جوارهم ..

كم تمنى أن يعود لسابق عهده ..

ولكن يبدو أن الأطباء على حق ..

إن جسده يحتاج إلى الراحة ..

إلى الكثير من الراحة ..

إنه يكاد ينهار مرة أخرى ، لمجرد أنه قد قضى ليلة مسهدة ..

فيما مضى كان يقضى أياما فى نشاط متصل ، بلا ذرة واحدة من النوم ، دون أن يبلغ هذه المرحلة قط ..

ولكنه الإجهاد ..

والإصابات ..

والزمن ..

وهذا الأخير بالتحديد عدو رهيب ، لا ينهزم أبدًا ..

إنه الخصم الرابح دائمًا ، مهما طال الأمد ..

انطلقت من أعماق صدره تنهيدة حارة ، وهو يطرح كل هذه الأفكار المحبطة عن ذهنه ، ويضع قدح الشاى على سطح مكتبه ، وجسده يسترخى أكثر وأكثر ..

وفى سرعة مدهشة ، راح ذهنه يسترجع مشهدًا بعينه ..

كان يجلس مع (منى) فى ذلك الفندق المطل على أهرامات الجيزة ..

ثم لمحها ..

(سونيا جراهام) ، بملامحها .. وجسدها .. وأسلوب سيرها الواثق المختال ..

لمحها تتجه نحو تلك السيارة السوداء ..

ثم ، وقبل أن يتساءل عما إذا كان ما يراه حقيقة ، توقفت هى لحظة ، والتفتت إليه مباشرة ..

وفى تلك اللحظة ، لم يعد لديه شك ..

إنها هى ..

هى ..

تابع المشهد فى ذهنه مرات ومرات ، وهو يعدو خلف السيارة ..

ويطلق عليها النار ..

ولكنها تواصل انطلاقها ، حتى تختفى أمام عينيه ..

وبين كل هذا ، انطلق فى أعماقه إنذار ما ..

لمحة غريزية ، تنبه إلى نقطة لم يولها اهتمامًا ..

نقطة غارقة فى أعمق أعماقه ..

غارقة ..

غارقة ..

غارقة ..

« سيادة الـ .... » .

كان مندوب الجهاز فى وزارة الداخلية يدلف إلى الحجرة ، وهو يهتف بالكلمة ، ولكن (منى) اعترضت طريقه فجأة ، هامسة فى حزم :

ـ اخفض صوتك .

بدت الدهشة على الرجل ، وهو يلقى نظرة على (أدهم) ، ويهمس فى توتر :

ـ سيادة العميد .. أهو ..

قاطعته فى حزم هامس :

ـ مستغرق فى النوم .. نعم .. إنه لم يشعر حتى بقدومى ، وهذا يعنى أنه مرهق أكثر مما يمكنك أن تتصور .

غمغم فى قلق :

ـ لقد طلب حضورى فوراً ، و ...

قاطعته مرة أخرى :

ـ سأتولى الأمر بنفسى ، ولنتركه ينعم بقليل من النوم والراحة .

ثم التفتت إلى (أدهم) ، بكل حنان الدنيا ، مستطردة :

ـ إنه يحتاج إلى هذا .. يحتاج إليه بشدة .

نطقتها همساً ، وهى تتطلع إليه فى حنان جارف ، وهو غارق فى نوم عميق ..

نوم يحتاج إليه كل جزء من جسده وعقله ..

بل كل خلية منهما ..

بلا استثناء ..

* * *

« الزعيم يريدكم فى مكتبه الآن .. »

نطق رجل (المافيا) الروسية العبارة ، فى احترام بالغ ، وأشار بيده ، مستطردًا بنفس اللهجة :

- أمامكم عشر دقائق .

أجابه (علاء) ، وهو يرتدى رباط عنق أنيقًا :

- سنصل قبل هذا .

غادر الرجل الجناح الفاخر ، وابتسمت (ريهام) ، قائلة :

- يا له من تغيير عجيب ! الكل يعاملنا باحترام وتقدير ، منذ نقلنا الزعيم إلى هنا .

هزّ (شريف) كتفيه ، وهو يعقد رباط حذائه اللامع ، قائلاً :

- من الواضح أن الانضمام لهذه المنظمة ليس بالأمر البسيط ، لذا فهم يقدّرون كثيرًا نجاحنا ، فى اجتياز كل الاختبارات .

ارتدى (علاء) سترة الحلة الفاخرة ، التى تناسب مقاييسه تمامًا ، وهو يقول :

- الواقع أننى أشعر بالفخر .

كانوا يتحدثون الإسبانية ، وهم يدركون جيدًا أن كل حركاتهم وسكناتهم ، تتم مراقبتها ثانية فثانية ..

وقبل مرور دقائق خمس ، كانوا يسيرون خلف رجال الحراسة الداخلية ، فى القصر المنيف ، للقاء (إيفانوفيتش) فى مكتبه ..

وعندما دلفوا إلى حجرته ، ابتسم (علاء) ، قائلاً :

- الأخوة (أبوللو) رهن إشارتك أيها الزعيم .

انعقد حاجبا (إيفانوفيتش) فى صرامة ، وهو يقول :

- هذه آخر مرة يتردّد فيها اسم (أبوللو) على شفاهكم .

قالت (ريهام) فى دهشة :

- ولكن لماذا أيها الزعيم ؟

أشار بيده إلى (ميرا) ، فاتجهت نحوهم ، وهى تحمل ثلاث بطاقات ذهبية ، قائلة :

ـ من الناحية الرسمية ، لقى الإخوة (أبوللـو) مصرعهم ، ولم يعد لهم أى ارتباط بعالم الأحياء .

ناولت كلاً منهم بطاقة من الذهب ، فى حجم بطاقات الائتمان ، انحفر على أحد وجهيها شعار (إيفانوفيتش) ، وعلى الوجه الآخر طُبعت صورة كل منهم ، وإلى جوارها اسم روسى الإيقاع ، و (إيفانوفيتش) يقول فى صرامة :

ـ منذ الآن ستحملون أسماء روسية .. (نيكولاى) .. (نابولين) ، و (ناتاشا) ؛ لأن قوانيننا تمنع انتماء أى أجنبى إلينا .

قلب (شريف) البطاقة فى يده ، وهو يقول فى دهشة :

ـ عجبًا ! لم أكن أتصور أن هذه المنظمات تصنع بطاقات هوية !! ألا يتعارض هذا مع قواعد السرية ؟!

قال (إيفانوفيتش) فى زهو مغرور :

ـ ومن يبحث عن السرية ؟! هذه البطاقات ، التى تحمل شعارى ، ستفتح لكم كل الأبواب ، فى (روسيا)

كلها ، وفى معظم دول (أوربا) أيضًا .. إنها علامة القوة والسطوة ، ولا يحملها إلا المحظوظون أمثالكم .

دست (ريهام) البطاقة فى جيبها ، قائلة :

ـ سأحرص عليها ، حرصى على حياتى نفسها .

أشار بسبابته ، قائلاً فى صرامة :

ـ هذا ما ينبغى أن يفعله ثلاثتكم .

ثم نهض من مقعده ، متابعًا بنفس الصرامة المسيطرة :

ـ ما حدث معكم أمر نادر للغاية ، فى عالم كعالمنا ، فمن المستحيل تقريبًا أن نمنح ثقتنا للغرباء ، أو نضمهم إلى صفوفنا .

تمتم (شريف) :

ـ الواقع أننا نشعر بالامتنان و ...

قاطعه (إيفانوفيتش) بإشارة صارمة من يده ، ونظرة غاضبة من عينيه ، وهو يتابع دون توقف :

- ولكن مهاراتكم الفائقة راقت لي بحق ، كما أنكم قد نجحتم في اجتياز اختبارات الثقة ، على نحو لم يفعله أحد قبلكم قط ، ومن الخسارة القضاء على أمثالكم ، وضياع مهارات مدهشة كمهاراتكم ، ولكن هذا ليس السبب الوحيد لضمكم إلينا .. هناك في الواقع سببان أكثر أهمية وخطورة .

كانوا قد أدركوا أنه لا يميل إلى مقاطعة حديثه قط ، مهما كانت الأسباب ، لذا فقد لاذوا بالصمت التام ، وهو يستطرد :

- السبب الأول هو منشؤكم معًا ، والذي منحكم قدرة فريدة على التواصل والتعاون ، والعمل كفريق واحد متكامل ، أما السبب الثاني ، وهو الأكثر أهمية بالنسبة لي ، هو أنه ، وعلى الرغم من كل مهاراتكم ، لم يكن لكم أي احتكاك سابق بأية نظم أمنية ، أو تنظيمات علمية معروفة ، وليست لكم أية ملفات ، في أي مكان في العالم ...

واستدار يواجه ثلاثتهم ، مضيفًا في حزم :

- باختصار .. أنتم وجوه جديدة ، ونظيفة تمامًا .

ثم رفع سبابته ، قائلاً بكل صرامة :

- وما دمتم تحملون بطاقة (إيفانوفيتش) ، فهذا يعني أن ولاءكم كله سيتجه نحو (المافيا) الروسية وحدها دون سواها ، وإليّ أنا شخصيًا بالدرجة الأولى ... من الآن فصاعدًا ستحصلون على رواتب شهرية يسيل لها اللعاب ، تكفي لحياة أكثر من رغدة ، في أي مكان في العالم ، وبطاقتكم الذهبية ستغنيكم عن النقود ، بأفضل مما يمكن أن تفعل أقوى بطاقة ائتمان في العالم .. الكل سيطيعكم دون مناقشة ، وستتفتح أمامكم كل الأبواب ، وتنحني لكلمتكم كل السلطات ، وبالنسبة لكم ، ستصبح كلمتي أمرًا واجب الطاعة ، وأوامري هدفًا ساميًا ، يرخص الموت دونها .. ستنفذون كل ما آمركم به ، دون مناقشة أو تردد ، وستؤدون أية مهمة

لنسندها إليكم ، بكل ما تملكون من طاقة ومهارة .. سيتم تدريبكم على عشرات الأمور ، وتزويدكم بأحدث الأسلحة ، ونظم الاتصالات والتكنولوجيا المتطورة ، كما ستتلقون دروسًا مكثفة في اللغة الروسية ، ولكن ..

صمت لحظة ، قبل أن يضيف ، وهو يرصد وجوههم جيدًا :

- بعد أن تنجحوا في مهمتكم القادمة .

كان الفضول يلتهم (ريهام) ، رغبة في معرفة طبيعة مهمتهم الأولى ، في هذا العالم القذر ، الذي يحمل علم (روسيا) ، إلا أنها كتمت فضولها هذا في أعماقها ، واكتفت بالتطلع إلى (إيفانوفيتش) ، وهو يتحرك في حجرة مكتبه الفاخرة الواسعة ، متابعًا في صرامة وحزم وقسوة :

- وعلى الجانب الآخر ، هناك قواعد يخضع لها الجميع ، ولا يمكننا أن نستثني منها أحدًا ، مهما كانت الظروف والملابسات ، فالخداع والخيانة لهما ثمن فادح هنا .. ثمن يبدو الموت أمامه قمة الرحمة ،

وذروة العطف ، فنحن لا نغفرهما قط ، ونتعامل معهما بأقصى قدر من الوحشية والقسوة ، والاستيلاء على أموال المنظمة يعدّ خيانة عظمى ، أما الخروج عن الإجماع ، فعقوبته الموت فورًا .

صمت ، فران الصمت على القاعة كلها ، حتى قالت (ميرا) ، في برود صارم :

- هل استوعبتم الأمر ؟!

أجابها (علاء) في حزم :

- كل حرف منه .

قال (إيفانوفيتش) بحزمه الفظ :

- عظيم .. بقى إذن أن تردّدوا قسم المنظمة ، حتى تصبحوا أعضاء فعليين فيها .

ثم شدّ قامته ، مضيفًا :

- ارفعوا أيديكم .

رفع كل منهم كفه بمحاذات كتفه ، وراحت (ميرا) تردّد القسم على مسامعهم ، باللغة الروسية ، حتى انتهت منه ، فقال ثلاثتهم بصوت واحد :

- نقسم على كل هذا .

أشار (إيفانوفيتش) بيده ، قائلاً بكل الصرامة والغلظة :

- القسم لا يتم إلا بالدم .

انتزعت (ميرا) خنجرًا من حزامها ، وتقدمت من (علاء) ، قائلة فى برود :

- افتح يدك اليسرى .

فتح راحته اليسرى أمامها ، فمررت نصل خنجرها عليها ، حتى تدفق الدم من يده ، وقالت :

- اطبقها .

أطبق يده على الدم ، الذى ملأ قبضته ، فى حين كررت (ميرا) الأمر نفسه ، مع (ريهام) و(شريف) ، ثم اعتدلت ، قائلة :

- والآن أقسموا .

وأضاف (إيفانوفيتش) ، فى وحشية عجيبة :

- بالدم .

رفع كل منهم قبضته الدامية أمام وجهه ، وهم يقولون معًا :

- نقسم بالدم .

تألقت عينا (إيفانوفيتش) ، وهو يقول :

- الآن أنتم أعضاء فى منظمتنا .

ثم عاد يجلس على مقعده ، متابعًا فى صرامة :

- والآن عودوا إلى جناحكم ، وضمدوا جروحكم ، واستعدوا للقاء قادة الألوية لدينا ، فى السابعة مساءً ..

سألته (ريهام) فى حذر :

- ألن تبلغنا بطبيعة مهمتنا ؟!

قال فى صرامة أكثر :

- عندما تحين اللحظة المناسبة .

قال (علاء) :

- كما تأمر أيها الزعيم .

عاد الثلاثة إلى جناحهم ، وأقدامهم تكاد تطير عن الأرض ، من فرط إحساسهم بالظفر والانتصار ..

لقد نجحوا فى أعظم جزء ، من الخطة كلها ..

أصبحوا أعضاء فى (المافيا) الروسية ..

كم تمنوا لو أبلغوا العميد (أدهم) بالأمر الآن ..

بل كم تمنوا لو أنهم استطاعوا التحدث مع بعضهم البعض عن الأمر ..

أسوأ ما فى هذه المهمة ، هو أنهم مراقبون طوال الوقت ، وأنهم مضطرون ألا يتبادلوا ولو حديثاً هامساً ..

حتى لغة الإشارة ، التى يجيدونها إجادة تامة ، لايمكنهم التحدث بها ، حتى لاينكشف أمرهم ..

ولكن نجاحهم وانتصارهم الليلة جعلهم يدركون أن الخطوة النهائية الحاسمة قد صارت قريبة ..

قريبة جداً ..

ومن فرط شعورها بالظفر والانتصار ، فتحت (ريهام)

يديها ، وأطلقت ضحكة مرحة ، وهى تتطلّع إلى الدم فى كفها ، قائلة :

- عجبًا ! لم أكن أدرك أن (روسيا) حمراء إلى هذا الحد .

قالتها ، فانفجر زميلاها ضاحكين فى مرح ..

ومن أعمق أعماق قلبيهما ..

وفى نفس اللحظة ، التى انطلقت فيها ضحكاتهم ، قالت (ميرا) تقول فى برود :

- مازلت عاجزة عن منحهم ثقتى الكاملة أيها الزعيم .

ابتسم الروسى فى سخرية ، قائلاً :

- لأنك لا تمتلكين خبرتى يا عزيزتى (ميرا) .

هزت كتفيها ، قائلة :

- ربما .

ثم سألته فى اهتمام :

- أية مهمة ستسندها إليهم الآن ؟!

تراجع فى مقعده ، وهو يقول :

ـ مهمتنا الرئيسية .

سألته فى دهشة :

ـ أليست مخاطرة أن نفعل ؟! أعنى أننا لم نختبرهم بعد ؟!

أجاب فى حزم :

ـ سنختبرهم هناك .

أرادت أن تقول شيئاً ما ، إلا أنه مال إلى الأمام ، وهو يسألها فى صرامة :

ـ متى سيصل عميلنا فى الشرق الأوسط ؟!

أشارت إلى شاشة الكمبيوتر ، مجيبة :

ـ طائرته ستصل فى السابعة ، وأظنه سيلحق بنا ، قبل أن ينفض الاجتماع .

أومأ برأسه ، قائلاً :

ـ عظيم .

ثم تراجع فى مقعده أكثر ، وتنهد فى ظفر واثق مزهو ، قائلاً :

ـ من الطبيعى أن تكون لديك عشرات الشكوك يا عزيزتى (ميرا) ؛ فطبيعتك لا تقبل الثقة فى أى شخص ، إلا بصعوبة بالغة ، حتى إننى أظنك تشكين فى والديك أنفسهما ، وهذا لا يضايقنى ؛ لأنه يناسب طبيعة عملنا .. واصلى شكوكك ، وارتيابك فى كل شخص ، ولكن إياك أن تتخذى قراراً فى هذا الشأن ، إلا بعد الرجوع إلىّ شخصياً .

غمغمت :

ـ بالتأكيد .

هز هو رأسه ، وتابع :

ـ ولكن الواقع أننى أختلف معك تماماً هذه المرة ، يا عزيزتى (ميرا) ، فهؤلاء الشبان يناسبون الدور الذى اخترته لهم تماماً ، خاصة وأن ملامحهم الإسبانية ستساعدهم على الانصهار بسهولة فى الدولة التى سأرسلهم إليها ..

واسترخى فى مقعده أكثر وأكثر ، وهو يضيف :

ـ فى (إسرائيل) .

قالها ، وتألقت عيناه ..

تألقتا فى ثقة ..

وفى وحشية ..

بلا حدود .

* * *



٨ـ صراع القمة ..

التقى حاجبا الجنرال (مارك كروجر) فى توتر شديد ، وأصابعه تجرى على أزرار الكمبيوتر فى سرعة ، وشفتاه تغمغمان فى عصبية واضحة :

ـ يا له من زمن ! لن يمكننى أبدًا اعتياد ذلك النمط الجديد من الحياة .. كل شىء أصبح يدار بالكمبيوتر والاتصالات والأقمار الصناعية .. لم تعد تعلم قط أين يكمن خصمك .

ثم ضغط زرًا أخيرًا ، قبل أن يستطرد :

ـ أو حتى صديقك .

مع الضغطة الأخيرة ، انفتحت قناة اتصال مباشرة ، عبر شبكة الإنترنت ، وظهر على الشاشة وجه يخفيه ظل داكن للغاية ، مع الضوء المنبعث من خلف صاحبه مباشرة ، وانبعث من الكمبيوتر صوت معدنى إليكترونى ، يقول :



وظهر على الشاشة وجه يخفيه ظل داكن للغاية ، مع الضوء
المنبعث من خلف صاحبه مباشرة ..

ـ أى أمر مهم هذا الذى دعاك لاتصال عاجل مباشر ؟!

تضاعف توتر (كروجر) ، وهو يقول :

ـ (إيفانوفيتش) ... (إيفان إيفانوفيتش) .

أجابه الصوت الإليكترونى فى هدوء :

ـ ماذا عنه ؟!

لوّح الجنرال السابق بيده فى توتر ، مجيبًا :

ـ إنه يعبث بنا ، ويتلاعب بأفكارنا على نحو سخيف ، فمنذ بدء الصفقة ، أخبر الإرهابيين الثلاثة ، الذين نستعين بهم ، أنه سيسلمهم صفقة الأسلحة عند الحدود ، دون تحديد موقع تلك الحدود ، ثم أخبرهم منذ ساعات أنهم سيتسلمون الصفقة مساء السبت القادم ، عند الحدود المصرية الإسرائيلية .

وعلى الرغم من الطبيعة المحايدة لتلك الأصوات الإليكترونية غير المميِّزة ، بدا الاهتمام واضحًا فى أسلوب المتحدث ، وهو يقول :

- الحدود المصرية الإسرائيلية ؟! يا له من موقع ، لتسليم صفقة كهذه ؟!

تُرى ما الذى يقصده ذلك الروسى بالضبط .

قلب الجنرال السابق كفيه ، مجيبًا :

- لا أحد يدرى يا مستر (X) .

نقل الصوت الإليكترونى غضب زعيم الجاسوسية الغامض ، وهو يقول :

- لا أحد يدرى ؟! ما المفترض أنك تتلقى أجرك من أجله إذن يا جنرال ؟! أليس البحث والمعرفة ؟!

أجاب (كروجر) فى عصبية :

- إنه لم يمنحنى الفرصة لهذا .

قال مستر (X) الغامض فى حدة :

- هذا ليس عذرًا .

تابع (كروجر) فى سرعة :

- لقد ألغى الأمر بعد ساعة واحدة ؟!

مال الرجل الغامض إلى الأمام ، متسائلاً فى حذر :

- ألغاه ؟!

أجابه (كروجر) ، فى توتر ملحوظ :

- نعم .. هكذا بكل بساطة ، وبعد أن أثار غضب وعصبية وشكوك الألمانى واليونانى والتركى .. بعد ساعة واحدة ، أرسل مندوبًا إلى جناحهم مباشرة ، ليخبرهم أنه قد ألغى موعد ومكان التسليم ، بسبب غضبهم وشكوكهم ، وأن تسليم الصفقة سيتمّ داخل (مصر) .

تراجع مستر (X) بحركة حادة ، قائلاً :

- داخل (مصر) ؟! ولكن كيف سي...

بتر عبارته بغتة ، وكأنما وجد أنه ليس من اللائق أن ينطقها ، وبدا عليه الاستغراق فى التفكير لدقيقة كاملة ، قبل أن يعتدل ، قائلاً فى حزم :

- ذلك الروسى يلعب لعبة معقدة للغاية .

سأله (كروجر) فى قلق شديد :

- أية لعبة ؟!

أجابه فوراً :

ـ لعبة سيطرة .. لقد أدرك أنه يتعامل مع منظمة ضخمة ، قادرة على تمويل عملية كبرى ، فى الشرق الأوسط ، وهو يرفض أن تكون هناك منظمة بمثل قوة منظمته ، فى أى مكان فى العالم ، ويبدو أن هؤلاء الحمقى الثلاثة قد أخبروه بعض ما لديهم من تفاصيل ، أو ....

بتر عبارته مرة أخرى ، وصمت بضع لحظات ، قبل أن يضيف :

ـ أو أنه يميل إلى أسلوب آخر .

تساءل (كروجر) فى حيرة :

ـ أى أسلوب ؟!

أجابه مستر (X) فى صرامة واقتضاب :

ـ التكنولوجيا .

قبل أن يلقى (كروجر) سؤالاً آخر ، تابع الزعيم الغامض ، فى حزم :

ـ اسمعنى جيداً يا جنرال .. اتصل فوراً بمكتبنا الفنى فى (باريس) ، واطلب منهم تزويدك بالخبراء اللازمين ، لفحص ومراجعة نظم التنصت ، وليفحصوا كل شبر من الأجنحة ، التى يقيم فيها (هانز) و(نيكولاس) و (شوكت) ، ويعملوا على إفساد كل نظام تنصت يعثرون عليه داخلها ، ليضمنوا تأمينها مائة فى المائة .

قال (كروجر) فى حماس :

ـ سأفعل فوراً يا مستر (X) .

ثم عاد يسأل ، فى شىء من القلق :

ـ ولكن ماذا عن صفقة الأسلحة ؟! هل سنواصل إتمامها .

أجابه فى حزم :

ـ لقد دفعنا ثلاثين مليوناً من الدولارات بالفعل ، والصفقة سيتم تسليمها فى (مصر) ، ولدينا هناك من يتابع كل خطوة ، كما أن زعماء تنظيمات أخرى

سيقومون بالتنفيذ ، دون أن نخاطر بقياداتنا ، فلمَ لا ..

وعاد يميل إلى الأمام ، مضيفاً :

ـ فلتمض العملية فى مسارها يا رجل ، ولكن ..

صمت لحظة ، ثم أكمل :

ـ بشروطنا نحن .

ولم يعلّق الجنرال (كروجر) هذه المرة ..

لقد فهم المعنى ، وأدرك ما يحدث بالضبط ..

لقد تجاوز الأمر حدود الصفقة والعملية الكبرى ، إلى ما هو أخطر بكثير ..

إلى صراع محموم ..

صراع القمة ..

قمة الشر ..

* * *

« (ناتاشا) .. استيقظى .. »

تسللت العبارة إلى أذنى (ريهام) ، وهى غارقة فى

سبات عميق ، فاستيقظ جزء حذر من أعماقها ، مع استيقاظ عقلها ، قبل حتى أن تفتح عينيها ، مغمغمة باللغة الإسبانية ، وبصوت ملؤه التكاسل والخمول :

ـ من (ناتاشا) هذه ؟!

ميّزت هذه المرة صوت زميلها (شريف) ، وهو يقول :

ـ إنها أنت يا (جينا) .. هل نسيت اسمك الجديد ، فى هذا العالم ؟!

تثاءبت فى استرخاء ، وهى تنهض ، قائلة :

ـ لم أعتده بعد .

جاءها من بعيد صوت (علاء) ، وهو يقول فى صرامة :

ـ حاولى اعتياده بسرعة ، فالزعيم لن يروق له تكاسلك هذا .

تثاءبت مرة أخرى ، مغمغمة :

- بالتأكيد .

ثم نهضت مغادرة الفراش ، و (شريف) يقول :

- إنها السابعة إلا الثلث ، والزعيم أمر أن تنضمّ إليه فى السابعة بالضبط .

بدا وكأنها قد استعادت نشاطها كله دفعة واحدة ، وهى تقول :

- سأرتدى ملابسى بأقصى سرعة .. اطمئن .

مطّت (ميرا) شفتيها ، وهى تستمع إلى العبارة ، عبر شاشة المراقبة ، وأشارت بيدها ، قائلة فى برود :

- يا لها من متحذلقة !؟

ابتسم (إيفانوفيتش) ، قائلاً :

- أما زلت تشعرين بالغيرة .

أجابته بنفس البرود :

- الغيرة انفعال عاطفى سخيف ، لا وجود له فى عالمى .

قال فى صرامة :

- تذكّرى أننى لم أحسم أمرى بشأنهم ، إلا بعد أن وصفت أصغرهم بأنه عبقرى .

قالت فى حسم :

- إنه عبقرى بالفعل .

ثم استدركت فى سرعة :

- ولكننى مازلت أشك فى أمره .

قال بصرامة أكثر :

- لقد أدّى عمله أمام عينيك .

قالت فى سرعة :

- وبدا ذكيًا ومنطقيًا وعمليًا للغاية .

ثم عادت تستدرك :

ولكن ..

سألها فى سرعة وجزم :

- ولكن ماذا ؟!

أجابت فى اهتمام :

- كل شيء كان عبقريًا بالفعل ، وبالذات وسيلة الاستبعاد المنطقى ، التى حصل بها على القائمة الأساسية ، للمواقع المشتبه فيها ، وكذلك تقسيمه للمجموعات ، أما بالنسبة لتوصله إلى المجموعة ذات الانتماءات المصرية ، فهناك ثغرة فى جدار المنطق ، لم أنتبه إليها فى حينه .

مال إلى الأمام ، يسأل فى قلق :

- وما هى ؟!

مطت شفتيها مرة أخرى ، وهى تجيب :

- كيف يمكن أن يكون المصريون ، على الرغم من براعتهم ، بالسذاجة المضحكة ، التى تجعلهم يربطون مواقع جهاز مخابراتهم بعناوين بريدية إليكترونية ، تنتمى كلها إلى جهات مصرية ، على الرغم من أنه من السهل للغاية ، على شبكة الإنترنت ، أن تكون لك عدة مواقع ، تنتمى إلى شركات أجنبية وهمية ، بل وهناك برامج عديدة ، تقتصر مهمتها على تغيير العنوان البريدى ، أو عنوان الموقع ، عند الدخول

إلى أى موقع آخر ، فكيف يعقل ألا يستخدم خبراء الكمبيوتر المصريون هذه البرامج ، لتأمين مواقعهم الحساسة ؟!

قال فى اهتمام :

- ربما لأنهم لم يتوقعوا محاولة عبقرية كهذه .

هزت رأسها ، قائلة :

- هذا ليس منطقيًا .

ابتسم ، وهو يقول :

- أمور كثيرة لا تخضع للمنطق فى عالمنا ، على الرغم مما يتصوره الجميع .

غمغمت :

- ربما .

التقط نفسًا عميقًا ، وألقى نظرة على ساعته ، قبل أن يقول فى حزم :

- هيا .. اطرحى هذه الشكوك السخيفة عن رأسك ،

وثقى بذكاء وبراعة زعيمك ، واستعدى لعقد مؤتمر القيادات ..

هيا .

نهضت ، قائلة :

ـ كما تأمر أيها الزعيم ..

تابعها ببصره ، حتى غادرت حجرة مكتبه ، ثم انعقد حاجباه الكثان فى شدة ، وهو يعيد التفكير فيما قالته ، قبل أن يغمغم فى شراسة مخيفة :

ـ مستحيل ! شبان فى مثل أعمارهم لن يجرءوا على خداع (إيفان إيفانوفيتش) فى عقر داره .. مستحيل !

وعلى الرغم من الثقة الوحشية ، التى نطق بها عبارته ، عاد يعقد حاجبيه فى شدة ، ويعيد التفكير فيما قالته (ميرا) مرة ثانية ..

وثالثة ..

ورابعة ..

ومع المرة الخامسة ، لم يستطع منع ذرات الشك ، التى تسللت رويدًا رويدًا إلى أعمق أعماقه ..

شك عكّر صفو ثقته وزهوه بقوته ..

كثيرًا ..

* * *

انخفضت درجات الحرارة على نحو مخيف ، مع انهمار الثلوج المتواصل ، على العاصمة الروسية ، وأعلن مطار (موسكو) أن الطائرة القادمة من الشرق الأوسط هى آخر الرحلات الجوية لهذا اليوم ، نظرًا لاستمرار انهمار الثلوج ، طوال الساعات العشر القادمة ، كما تؤكد تقارير الأرصاد الجوية ..

وفى مطار (موسكو) ، وقف (يورى باليتسكى) ، رجل (إيفانوفيتش) الأول ، ينتظر القادمين من الشرق الأوسط ، فى اهتمام بارد ، حتى وقع بصره على رجل قوى البنية ، يتدثر بمعطف سميك من الفراء ، ويخفى رأسه بغطاء من النوع نفسه ، ويحمل حقيبة واحدة ، اجتاز بها المنطقة الجمركية فى سرعة ، واتجه مباشرة نحوه ، وهو يقول بلغة ، روسية سليمة :

- (بالينسكى) .. يالها من مفاجأة ! لم أتصور أبدًا أن تستقبلنى بنفسك .

ابتسم (بالينسكى) ، وهو يصافحه ، قائلاً :

- الزعيم ينتظرك على أحرّ من الجمر يا سيّد (رأفت) ... يبدو أن ما تحمله من معلومات يهمه للغاية هذه المرة .

غمغم (رأفت) فى اقتضاب :

- بالتأكيد .

قاده (بالينسكى) إلى السيارة الكبيرة ، التى تقف أمام المطار مباشرة ، والتى كسا الجليد سقفها بغطاء أبيض ، أشار إليه الروسى ، قائلاً :

- يبدو أنك قد اخترت أسوأ طقس لزيارتنا يا سيّد (رأفت) .

مطّ (رأفت) هذا شفتيه ، قائلاً :

- الطقس لديكم سيئ دائمًا ، ولن يمكننى اعتياده أبدًا .

ابتسم (بالينسكى) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

- لكى تعتاد طقسنا ، لابد أن تكون روسيًا حتى النخاع .

قال (رأفت) فى سخرية :

- ليس إلى هذا الحد .

هزّ (بالينسكى) رأسه ، وقال :

- ستدرك صحة ما أقول ، عندما تنخفض الحرارة إلى الثلاثين تحت الصفر ، مع منتصف الليل .

ثم أشار إلى معطف الفراء الذى يرتديه ، متابعًا :

- إنك تكاد تتجمّد بردًا ، قبل هذا الرقم بعشرين درجة .

انطلقت السيارة ، و (رأفت) يقول فى غلظة :

- إنكم تبالغون كثيرًا أيها الروس ، فى وصف طقسكم هذا .

هزّ (بالينسكى) كتفيه ، قائلاً :

- طقسنا هذا هو أقوى أسلحتنا يا سيد (رأفت) فهو الذى هزم الجيوش الألمانية القوية ، التى حاصرتها الثلوج ، قبل أن تدخل (موسكو) .. هل تعلم أن الضباط الألمان ، الذين كانوا يسخرون من أزيائنا العسكرية ، ويتباهون بأناقة زيهم العسكرى ، قد أدركوا وسط ثلوجنا ، أن الأناقة لا مكان لها هنا ، عندما يهبط الجليد ، فلقد عجزت أزياؤهم الأنيقة عن تدفئتهم ، وتجمدت أقدامهم داخل أحذيتهم ، مما اضطرهم لبترها(*) .

قال (رأفت) فى خشونة :

- أعلم هذا .

ثم تابع بشىء من العصبية :

- لقد اختبرت قسوة جليدكم بنفسى ، منذ أكثر من ثلاثين عامًا .

صمت (باليتسكى) لحظة ، ثم غمغم فى هدوء :

- أعلم هذا .

(*) حقيقة تاريخية .

واصلت السيارة انطلاقها ، وسط الشوارع التى تغمرها الثلوج ، حتى بلغت مهبط الهليوكوبتر ، التى تحمل شعار (إيفانوفيتش) الذهبى ، والتى هتف قائدها فى قلق متوتر ، عندما لمح السيارة :

- أسرعوا يا سادة .. الجليد يواصل انهماره ، ولو لم ننطلق الآن ، سيصبح الطيران أشبه بالانتحار .

انتقلوا بسرعة ، من السيارة إلى الهليوكوبتر ، التى حلقت بهم على الفور ، فى طريقها إلى قصر (إيفانوفيتش) المفضل ، و (رأفت) يجلس داخلها صامتًا ، وأفكاره تنطلق بعيدًا ..

إلى أربعين عامًا مضت ..

وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يحاول طرد تلك الأفكار عن ذهنه ..

ولكن هيهات ..

لقد كانت ذكريات أسوأ من أن ينساها ..

أسوأ بكثير ..

* * *

فجأة ، استيقظ (أدهم) ..

كان قد غرق في نوم عميق متصل ، لأكثر من خمس ساعات ، استعاد جسده خلالها الكثير من نشاطه وحيويته ، وارتاح خلالها عقله المكدود ..

ثم فجأة ، استيقظت حواسه كلها دفعة واحدة ..

وهذه سمة أخرى عجيبة في طبيعته ..

عندما يستيقظ عقله ، يستيقظ معه كيانه كله ..

ويستعيد كل النشاط ..

وفي حركة مباغتة ، اعتدل على المقعد ، الذي نام فوقه ، وهو يقول في دهشة :

ـ (منى) ؟! ماذا تفعلين هنا ؟!

ابتسمت (منى) في حنان ، وهي تقول :

ـ أراجع تقارير مندوبنا ، في وزارة الداخلية .

ثم سألته بكل الحنان :

ـ هل نمت جيدًا ؟!

ابتسم بدوره ، وهو يغمغم :

ـ بالتأكيد .

ثم سألها في اهتمام :

ـ هل من جديد ؟!

ناولته التقارير ، قائلة :

ـ رجال الشرطة عثروا على السيارة السوداء بالفعل ، وهي من طراز (بي . إم . دابليو) ، ومزودة بدروع مضادة للرصاصات ، وزجاج مزدوج . من ذلك الطراز نفسه ، ولقد عثروا فيها على آثار ست رصاصات . أطلقتها أنت عليها . ولقد كانت السيارة خالية ومهجورة ، داخل ممر خاص بمزرعة للإنتاج الحيواني ، وتم بالطبع استجواب أصحاب المزرعة ، وكل العاملين فيها ، ولكن رجال الشرطة يعتقدون أنه لا صلة لهم بالأمر .

قال في حزم :

ـ أنا واثق من هذا .

ثم تراجع فى مقعده ، مضيفًا :

ـ (سونيا) لن ترتكب خطأ سخيفًا ساذجًا كهذا .

سألته فى اهتمام :

ـ هل تعتقد أنها هنا بالفعل ؟! أعنى أهى (سونيا جراهام) ، دون أدنى شك ؟!

سؤالها جعله يعقد حاجبيه أكثر وأكثر ، وهو يستعيد فى ذهنه الموقف كله ..

ـ السيارة السوداء ..

(سونيا) ..

التفاتها المباشر إليه ..

و ...

« سيادة العميد .. » ..

ارتفع الصوت ، عبر جهاز الاتصال المباشر على مكتبه ، لينتزعه من أفكاره بغتة ، فضغط زر الاتصال ، قائلاً :

ـ ماذا هناك ؟!

أجابه صاحب الصوت فى اهتمام :

ـ وصلنا تقرير مراقبة عاجل من (موسكو) .

قال (أدهم) فى حزم :

ـ احضره فورًا .

نهضت (منى) ، وهى تقول :

ـ أعتقد أنه لم يعد من اللائق أن أبقى .

ابتسم ابتسامة باهتة ، قائلاً :

ـ سأتصل بك ، فور انتهاء هذه الأزمة .

ثم غمز بعينه ، مستطردًا :

ـ لنتم حديثنا ، الذى قاطعته (سونيا) .

رقص قلبها ، بكل فرحة الدنيا ، وهى تقول فى خجل :

ـ سأنتظر ، على أحرّ من الجمر .

تبادلا ابتسامة أخرى ، قبل أن تغادر هى المكان ، ويتراجع هو فى مقعده ، وحاجباه ينعقدان مرة أخرى ، محاولاً استعادة ذلك المشهد ..

المشهد الذى يحوى لقطة واحدة ، يعجز عقله عن هضمها ..

لقطة توحى بالـ ...

قاطعه هذه المرة صوت طرقات على باب مكتبه ، فاعتدل قائلاً :

- ادخل .

دلف أحد رجال المتابعة إلى المكتب ، وناوله بعض الأوراق ، وهو يقول :

- رجال المراقبة سجلوا وصول زائر غير عادى إلى قصر (إيفانوفيتش) ، بوساطة الهليوكوبتر الخاصة به .

سأله (أدهم) فى اهتمام :

- هل أمكنهم تحديد هويته ؟!

أجابه الرجل :

- منطقة هبوط الهليوكوبتر ، فى قصر (إيفانوفيتش) مؤمّنة تماماً ، بحيث يستحيل رؤية القادم ، ولكن رجالنا فى (موسكو) أدركوا هذه الحقيقة ، منذ بعض الوقت ، لذا فهم يراقبون موقع الهليوكوبتر فى (موسكو) طوال الوقت ، ويلتقطون صور كل من يستقلها .

بلغ الرجل هذه النقطة ، فى نفس اللحظة التى وقع فيها بصر (أدهم) على الصور ، التى وصلت ، عبر شبكة مواقع سرية ثانية ، على الإنترنت ، وانعقد حاجباه فى شدة ، وهو يقول :

- أهذا هو الرجل ، الذى استقبله (إيفانوفيتش) ؟!

أومأ الرجل برأسه إيجاباً ، فهتف (أدهم) :

- رباه ! يا لها من مفاجأة مذهلة ! إنه الدكتور (رأفت كاظم) .. أستاذ الفيزياء النووية .. من كان يتصور هذا ؟! الرجل أحد مشاهير العلماء المحترمين هنا .. نحن أنفسنا كدنا نستعين به كمستشار للجهاز ،

قال الرجل فى اهتمام :

ـ إننا لم نبدأ تحرياتنا عنه بعد يا سيادة العميد ، ومن المؤكد أننا كنا سنكشف أمره حينذاك .

هزّ (أدهم) رأسه مرة أخرى ، مغمغمًا فى أسف :

ـ يا للخسارة !

مال الرجل نحوه ، قائلاً بلهجة توحى بأهمية وخطورة الأمر :

ـ المشكلة أن هذا ليس أخطر ما اكتشف لنا يا سيادة العميد .

رفع (أدهم) عينيه إليه ، قائلاً بقلق شديد :

ـ ما الأكثر خطورة إذن ؟!

ناوله الرجل ملفًا آخر ، وهو يفتحه ، قائلاً :

ـ فور وصول الصور ، بدأنا فحص ملف الدكتور (رأفت) دون انتظار للأوامر ، وأكثر ما أقلقنا هو عنوان منزله .



يا لها من مفاجأة مذهلة ! إنه الدكتور (رأفت كاظم) .. أستاذ الفيزياء النووية ..

ثم أشار إلى سطر بالملف ، مضيفاً فى توتر بالغ :

ـ انظر أين يقيم .

ألقى (أدهم) نظرة على ذلك السطر ، قبل أن يهب واقفاً ، وهو يهتف :

ـ رباه ! يا لها من مفاجأة مذهلة !

ثم عاد يرفع عينيه إلى الرجل ، مستطرداً بكل ارتياع الدنيا :

ـ هل تدرك ما الذى يعنيه هذا يا رجل ؟! إن رجالنا فى قصر ذلك الروسى يواجهون خطراً رهيباً .. رهيباً للغاية ..

وكان على حق تماماً ، فى كل حرف نطق به ..

كل حرف .

* * *

٩ ـ المفاجأة ..

لم ينطق زعماء المنظمات الإرهابية الثلاث بحرف واحد ، وهم يراقبون فريق الخبراء ، الذى أحضره (كروجر) ، والرجال يفحصون أجنحتهم شبراً شبراً ..

بل ولم تبد عليهم أدنى دهشة ، عندما عثر الخبراء على أجهزة المراقبة والتنصت ..

فقد كانوا يتوقعون هذا بالفعل ..

يتوقعونه تماماً ..

ولم يدهشهم قط أن (إيفانوفيتش) قد استخدم أحدث أجهزة عرفتها التكنولوجيا ، فى ذلك الوقت ، والتى يمكنها نقل الصوت ، عبر الأقمار الصناعية ، إلى أى مكان فى العالم ..

وبعد انتهاء الفحص ، وتأمين الأجنحة تماماً ، قال الجنرال (كروجر) فى حزم :

- أظننا أنهينا سيطرة (إيفانوفيتش) على المكان تمامًا الآن .

هتف (هانز) فى غضب :

- ذلك الحقير .. من يظن نفسه ، ليتجسس علينا طوال الوقت .

قال (كروجر) :

- الرجل يحاول حماية نفسه ، وتأمين تنظيمه فحسب .

قال (نيكولاس) فى حنق :

- سأقتله لقاء هذا .

وضمّ (شوكت) قبضته ، ملوّحًا بها أمام وجهه ، وقائلاً :

- سأجعله يتعلّم كيف يتعامل مع الزعماء .

ارتسمت ابتسامة عجيبة على شفتى (كروجر) ، وهو يقول :

- يمكننا جميعًا أن نعلمه هذا .

سأله (هانز) فى عصبية :

- يمكننا جميعًا ؟! ما الذى تعنيه بجميعًا هذه ؟!

هزّ (كروجر) كتفيه ، قائلاً :

- يقولون : إن الاتحاد قوة .. أليس كذلك ؟!

قال (شوكت) فى حذر :

- الاتحاد بمن ؟! أو مع من ؟!

أجابه (كروجر) ، بنفس الابتسامة ، التى لا تدعو أبدًا للارتياح :

- ستعرفون حتمًا ، عندما تحين اللحظة المناسبة .

فغر (نيكولاس) فاه ، وهو يقول مبهوتًا :

- اللحظة المناسبة ؟! ماذا تعنى ؟!

ودون أن ينتظر جوابًا ، ضرب (هانز) الجدار بقبضته ، صائحًا فى غضب :

- ماذا دهاكم جميعًا ؟! هل تصوّرتم أننا مجرّد تابعين ، لا حق لنا فى معرفة الحقائق والتفاصيل ؟! هل نسيتم مع من تتعاملون بالضبط ؟!

أجابه (كروجر) ، فى سرعة دبلوماسية :

- على العكس تمامًا يا هر (هاتز) .. إننا ندرك جيدًا مع من نتعامل ، ونحترم كل من يتعاون معنا ، ويساعدنا على بلوغ أهدافنا .

ثم مال نحوه ، مستطردًا بمودّة شديدة :

- وفى الوقت نفسه نبغض كل من يعادينا ، ونسعى لتدميره قبل أن يفعل هو بنا .

تبادل الإرهابيون الثلاثة نظرة حذرة ، قبل أن يقول (شوكت) فى تحفظ :

- قل لى يا جنرال : هل تقدّم لنا عرضًا ما ؟!

ابتسم الجنرال ابتسامة كبيرة ، وقال فى خبث :

- العروض كثيرة يا سيد (شوكت) .

ثم اعتدل ، مستدركًا فى حزم :

- ولكن الوقت لا يناسب هذا الآن .. فنحن مقدمون على عملية كبرى ، لابد أن نحقّق فيها انتصارًا مبهرًا ، قبل أن نضع أيدينا فى بوتقة واحدة ، وننقضّ على عدونا المشترك .. انقضاضة رجل واحد .

سأله (هاتز) فى حزم :

- متى ؟

أشار (كروجر) بيديه ، وهو يبتسم ابتسامة كبيرة ، قائلاً :

- هذا يتوقّف عليكم أيها السادة .

ومع قوله هذا ، اتسعت ابتسامته أكثر ، وغمز بعينه ، على نحو فهم منه الإرهابيون الثلاثة الكثير .. الكثير جدًا ..

* * *

« أغبياء » .

نطق (إيفانوفيتش) بالعبارة فى صرامة ، وهو يشير بيده إلى الشاشة ، التى تنقل ما يحدث داخل

جناح الإرهابيين الثلاثة ، إلى حجرة اجتماعاته مباشرة ، والتى جلس فيها قادته الخمسة ، الذين يتولون كافة شئون المنظمة ، فى (روسيا) كلها ، ومعهم (علاء) و(ريهام) و(شريف) ، الذين لاذوا بالصمت ، وهم يتابعونه فى اهتمام حقيقى ، وهو يستطرد بمنتهى الحزم :

ـ لقد أحضروا خبراءهم ، ونقبوا فى أجنحتهم شبرًا شبرًا ، وانتزعوا منها كل أجهزة التنصُّت المباشرة ، متصورين أنهم بهذا قد قضوا على سيطرتنا ، أو وسائل اتصالاتنا تمامًا ، وهأنتم أولاء ترون أننا ما زلنا نتابع كل ما يحدث لحظة فلحظة .. هذا لأن تكنولوجيا الاتصالات لا حدود لها أيها السادة .. إننا نستخدم أجهزة رصد خاصة ، من البناية المقابلة للفندق ، تعتمد على الكشف الحرارى للأجساد ، بحيث يمكنها التقاط الانبعاث الحرارى لأى جسم حى ، وتحويله ، بوساطة برنامج كمبيوتر معقَّد ، إلى صور مرئية واضحة ، كما أن أحدث أجهزة التنصُّت عبارة عن شعاع من الليزر ، يتم إطلاقه نحو أية نافذة

مغلقة ، ثم استعادته منعكسًا ، على المسار نفسه ، حاملاً كل ما يحويه المكان من ذبذبات ، يقوم الكمبيوتر بفصلها ، وتحويلها إلى أصوات متميِّزة مسموعة(*) ..

ثم شدَّ قامته ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وتألقت عيناه فى ظفر وحشى ، وهو يتابع بشراسة مخيفة :

ـ باختصار ، لا أحد يمكنه الخروج من سيطرة (المافيا) الروسية أبدًا ؛ لأننا ندرس كل الأمور ، ونضع كل الاحتمالات ، ولا نترك فرصة واحدة للحظ ، أو الخطأ .. لقد كنا نعلم منذ البداية أنهم سيكشفون أمر أجهزة التنصُّت .. بل إننى ، عندما أرسلت إليهم مندوبى ، ليبلغهم أمر تسليم الصفقة داخل (مصر) ، كنت أدرك أنهم سيشكون حتمًا فى وجود أجهزة مراقبة .. بل سيثقون فى حتمية هذا ، وسيستعينون بخبراء لكشف أمرها وانتزاعها .

سألته (ريهام) فى حذر :

(*) حقائق واقعية وعلمية ، فى علوم التجسس الحديثة .

- ما الغرض من لفت انتباههم إلى وجودها إذن ؟!

أجاب فى سرعة ، وعيناه تتألقان أكثر :

- حتى يكشفوا الأجهزة .

قالت فى حيرة :

- ثم ماذا ؟!

اتسعت ابتسامته الوحشية ، وهو يجيب :

- ثم يتصورون أنهم قد سيطروا على الموقف ، ويكتسبون ثقة أكبر فى أنفسهم ، ويتحركون ويتحدثون بحرية أكبر وأكثر ، مما يمنحنا المزيد والمزيد من الأسرار .

هتف (شريف) مبهوراً :

- يا لها من فكرة عبقرية !

تألقت عينا (إيفانوفيتش) أكثر ، وكأنما راقت له العبارة ، وهو يقول :

- الأفكار الجديدة وحدها تربح فى عالمنا يا فتى .

غمغم (علاء) :

- بالتأكيد .

همّ (إيفانوفيتش) بقول شىء ما ، عندما دلفت (ميرا) إلى المكان فى خطوات سريعة ، واتجهت نحوه مباشرة ، وهمست فى أذنيه بضع كلمات ، ابتسم بعدها فى ثقة ، قائلاً :

- انتظرونى قليلاً ، سأعود على الفور .

قالها ، وغادر القاعة فى سرعة ، وأغلق بابها خلفه ، وهو يتجه نحو حجرة مكتبه الكبيرة ، ويدخلها ، قائلاً بابتسامة ملؤها الخبث والدهاء :

- مرحبًا يا دكتور (رأفت) .. كيف كانت رحلتك إلى هنا ؟!

أجابه (رأفت) ، فى شىء من العصبية :

- مرهقة كعهدى بها .

أشار إليه (إيفانوفيتش) بالجلوس ، قائلاً :

- لهذا ندفع لك بسخاء .

مطّ (رأفت) شفتيه ، مهمهمًا بعبارة ساخطة مبهمة ، قبل أن يطلق من أعمق أعماق صدره زفرة ملتهبة ، قائلاً :

ـ فيم تريدني هذه المرة يا (إيفانوفيتش) ؟!

تألّقت عينا الروسي ، وهو يقول :

ـ المعلومات المعتادة .

هتف (رأفت) في عصبية :

ـ أية معلومات .. لقد استقلت بالفعل من هيئة الطاقة الذرية ، ولم تعد لدي أية اتصالات ، بجهاز أبحاث القوات المسلحة ، والهيئة العربية للتصنيع ، فيم يمكن أن أفيدكم الآن ؟

جلس (إيفانوفيتش) على مقعده الكبير ، وقال في صرامة :

ـ تذكّر أنك تعمّدت الانسحاب من كل هذا يا دكتور (رأفت) .

عضّ (رأفت) شفتيه ، مغمغمًا في مرارة :

ـ كانت وسيلتي الوحيدة للمقاومة ، بعدما تورّطت معكم طويلاً :

قال (إيفانوفيتش) بصرامة أكثر :

ـ يبدو أنك قد نسيت ما تعلّمته مني ، عندما جنّدتك لحساب الـ (كي . جي . بي) ، منذ ما يزيد على الثلاثين عامًا .

قال (رأفت) في حدة :

ـ تقصد عندما ورطتني في هذا الجحيم .

صاح فيه (إيفانوفيتش) بصوت غاضب شرس مخيف :

ـ أيًا كان ما حدث .. القاعدة هي القاعدة .. أنت لا تملك البداية ، كما لا تملك النهاية .. نحن وحدنا نقرّر متى تبدأ عملك معنا ، ومتى تتوقّف عنه .. إما هذا أو ...

قاطعه في حدة أكثر :

ـ أو الموت بلا رحمة .. نعم .. أعلم هذا .. لقد سمعته منك ألف مرة .

ثم ألقى جسده على أقرب مقعد إليه ، مستطردًا فى عصبية :

- حسن .. ماذا تريد ؟! أية معلومات يمكننى أن أمنحك إياها ؟!

تراجع (إيفانوفيتش) فى مقعده ببطء ، قائلاً فى صرامة :

- فيما بعد ... ستعرف كل شيء فيما بعد .

قال (رأفت) فى عصبية :

- ولماذا فيما بعد ؟! هأنذا هنا ، وأنت أمامى ، وكلانا ليست لديه أية مشكلات ، فى السمع أو الكلام ، ففيم الانتظار ؟!

مال (إيفانوفيتش) إلى الأمام فى حركة حادة ، قائلاً بكل صرامة وشراسة الدنيا :

- ليس هذا من شأنك .

انكمش الرجل فى مقعده ، مغمغمًا فى توتر :

- بالتأكيد يا سيد (إيفانوفيتش) .. بالتأكيد .

نهض (إيفانوفيتش) من مقعده ، فى صرامة واضحة ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وهو يقول :

- اسمعنى جيدًا يا دكتور (رأفت) ، وحاول أن تستوعب كل كلمة أنطق بها ؛ لأننى لن أكرر كلمة واحدة .. هل تفهم ؟!

ازدرد الرجل لعابه فى صعوبة ، مغمغمًا :

- نعم .. أفهم .

رمقه الروسى بنظرة نارية ملتهبة ، قبل أن يتابع :

- هناك عملية كبرى ، ستتم عندكم ، فى (مصر) .

امتقع وجه (رأفت) وهو يغمغم مذعورًا :

- عملية كبرى ؟! ماذا تعنى بعملية كبرى ؟!

قال (إيفانوفيتش) فى صرامة ، دون أن يتطلع إليه :

- ليس هذا من شأنك .

عاد الرجل ينكمش فى مقعده ، و (إيفانوفيتش) يواصل بكل الصرامة :

ـ العملية ستقوم بها منظمة أخرى ، ما زالت معلوماتى عنها محدودة للغاية ، وهذا لا يجعلنى أشعر بالارتياح .. البقاء على القمة فى عالمنا يحتم أن تعرف كل شىء عن كل شىء طوال الوقت ، وألا تسمح للأمور بالخروج من سيطرتك أبدًا .

وصمت لحظة ، وكأنما يركز أفكاره ، قبل أن يتابع :

ـ ولأن (إيفانوفيتش) لا يسمح لأحد بالسيطرة عليه قط ، فقد وضعت خطة عبقرية ، يمكننى بوساطتها تحويل دفة الموقف كله إلى صالحى ، وتحويل كل ذرة من النصر لحسابى الشخصى ، وكل رصيد الهزيمة للآخرين .

ثم أدار عينيه إليه دفعة واحدة ، بنظرة شيطانية رهيبة ، قائلاً :

ـ وأنت جزء من خطتى هذه .

سأله (رأفت) بصوت مرتجف :

ـ كيف ؟!

أشار (إيفانوفيتش) بيده إلى الباب الجانبى لحجرة مكتبه ، والذى يتصل مباشرة بقاعة اجتماعاته ، وهو يقول بصرامته الوحشية :

ـ فى القاعة المجاورة فريق من أفضل ما رأيت فى حياتى ، ممن هم فى مثل أعمارهم ، وهم بارعون إلى حد مدهش ، بحيث يمكنهم تنفيذ خطتى كلها ، بأقل أخطاء ممكنة ، وأفضل ما فيهم هو أنهم نظيفون تمامًا ، ولا أحد يعلم عنهم شيئًا .

غمغم (رأفت) فى حذر :

ـ وما شأنى بهم ؟!

عقد (إيفانوفيتش) كفيه خلف ظهره مرة أخرى ، وهو يقول :

ـ فريقى هذا سيؤدى مهمته أولاً فى (إسرائيل) ، قبل أن يذهب إلى (مصر) ، وعليك أن تلتقى بهم هناك ، وأن تنفذ كل ما سيأمرونك به ، وتحصل على

كل ما لديهم من معلومات ، ثم تذهب لإبلاغ كل هذا مباشرة لمؤسسة الرياسة فى (مصر) .

اتسعت عينا (رأفت) ، وهو يقول فى هلع :

ـ مؤسسة الرياسة ؟! ماذا تعنى ؟!

أجابه الروسى فى شراسة :

ـ أعنى رئيس الجمهورية ، والأجهزة التابعة له .. أهذا صعب الفهم ؟!

ازدرد (رأفت) لعابه ، فى صعوبة شديدة ، وهو يقول :

ـ كلاّ ، ولكن هل تتصوّر أن الأمر بسيط إلى هذا الحد ؟! لقاء رئيس الجمهورية أمر عسير للغاية فى (مصر) ، كما أن ..

قاطعه فى صرامة :

ـ المعلومات التى ستحملها إليه ، ستكون من الخطورة ، بحيث سيهمه جدًّا أن يستمع إليك .. شخصيًا .

سأله (رأفت) فى حذر مذعور :

ـ ثم ماذا ؟!

التقط (إيفانوفيتش) نفسًا عميقًا ، وتألقت عيناه بشدة ، وهو يقول فى حزم صارم :

ـ اترك الباقى لنا .

حاول (رأفت) أن يزدرد لعابه ، إلا أن حلقه كان جافًا كصحراء جرداء ، وعيناه كانتا متسعتين فى ارتياع ، وملامحه كلها تبدو أشبه بملامح شخص يعانى سكرات الموت . فقال (إيفانوفيتش) فى برود آمر :

ـ والآن هيا .. ستلتقى بأفراد فريقى الصغير ، الذين سينفذون عمليتى الكبرى فى الشرق الأوسط .

ثم تقدّم ، وفتح باب قاعة الاجتماعات ، وهو يقول للحاضرين ، الذين نهضوا لاستقباله فى احترام :

ـ أيها السادة .. دعونى أقدّم لكم عميلنا الأول ، فى الشرق الأوسط .

اشرأبت (ريهام) بعنقها فى اهتمام وفضول ، شاركها إياهما زميلاها (علاء) و(شريف) ، وثلاثتهم يتلهفون لمعرفة ذلك العميل المهم ، لمنظمة (المافيا) الروسية ، فى الشرق الأوسط ..

وفى بطء متوتر ، التفت الدكتور (رأفت كاظم) إلى القاعة ، وهو يدير عينيه فى وجوه الجميع ..

ثم فجأة ، توقف دفعة واحدة ، وارتد بحركة عنيفة ، كمن أصابته صاعقة قوية ، واتسعت عيناه عن آخرهما فى هلع مذعور ، قبل أن يصرخ فى رعب :

- يا إلهى ! النقيب (علاء) .

انعقد حاجبا (علاء) فى شدة ، واتسعت عينا (شريف) فى هلع ، فى حين انطلقت شهقة قوية من حلق (ريهام) ، وهى تحدق فى الدكتور (رأفت) ، الذى أطلق صرخته بالعربية ..

ولكن من سوء حظ الجميع ، أن (إيفان إيفانوفيتش) لم يكن رجلاً عاديًا ، أو مجرد إرهابى تقليدى ، أو زعيمًا لمنظمة إجرامية قوية رهيبة ..

لقد كان أيضًا رجل مخابرات سابقًا ، لايشق له غبار ..

رجل مخابرات يجيد قواعد مهنته إلى أقصى حد ..

ويجيد اللغة العربية أيضًا .

لذا ، فقد اشتعلت عيناه بنيران الجحيم ، وتفجرت دهشة غاضبة ساخطة ثائرة فى كل خلجة من خلجاته ، وهو يلتفت إلى أفراد الفريق ، صائحًا بوحشية وشراسة لا حدود لهما :

- نقيب ؟!

ومع صيحته وغضبه ، ودون حتى أن تفهم حرفًا واحدًا مما نطقه ، استلت (ميرا) مسدسها ، وضغطت زرًا مجاورًا لها ، وهى تهتف :

- خيانة .

وفى لحظة واحدة ، اقتحم رجال الحراسة الخارقون القاعة ، وارتفعت فوهات أسلحتهم نحو الجميع ، قبل أن تتجه نحو أفراد الفريق ، بإشارة صارمة من

الروسية الرهيبة ، فى حين شدّ (إيفانوفيتش) قامته ، بغضب هادر رهيب ، وعقد كفيه خلف ظهره ، وكل ذرة فى كيانه ترتجف غضبًا وثورة ..

أما (علاء) و (ريهام) و (شريف) ، فقد امتقعت وجوههم ، وارتفعت أيديهم فوق رءوسهم ، دون أن ينطق أحدهم بحرف واحد ..

ولم تكن هناك عمليًا فائدة للكلمات ، فى موقف شديد الوضوح كهذا ..

لقد فشلت المهمة ، وانكشف الفريق ، وسط الجليد الروسى ..

وهذا يعنى أن أمرهم قد انتهى هنا ..

تمامًا .

* * *

انتهى الجزء الثانى بحمد الله

ويليه الجزء الثالث بإذن الله

(نمور الثلوج)